الفصل السادس
فضائل أعمـال القلوب

obeikandl.com

الفصل السادس: فضائل أعمال القلوب:ويشمل خمسة عشر مبحثا:ـ

المبحث الأول: فضل الإخلاص:

الحمد لله،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ..أما بعد:

ها نحن نصل إلى حقيقة الدين وركنه القويم الإخلاص الذي هو أشق شيء على الإنسان حتى ظن الناس أن المخلصين قد انقرضوا.وذلك لأن النفس تحب الظهور والمدح والرياسة وتميل إلى البطالة والكسل.

قال أيوب: تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.

لقد خلق الله الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، وجعل سبحانه للأعمال ركنين لا يقبل عملا إلا بهما: أن يكون العمل خالصاً لله، وصواباً على شريعة رسول الله . ﷺ.

قال تعالى:{ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }الكهف:110.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في تفسير قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}الملك:2. هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يَقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً.. ثم قرأ قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}الملك:2.

الإخلاص هو مسك القلب، وماء حياته، ومدار الفلاح كله عليه.

إن الذي يعمل بغير إخلاص ولا إقتداء كمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه كما قال ابن القيم رحمه الله.ولهذا سيأتي أقوام يوم القيامة بأعمال

كالجبال لكنها لا تنفعهم لأنها فقدت أهم شروط قبولها.. الإخلاص:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً}الفرقان:23.

فما هو الإخلاص إذاً ؟

لقد تعددت تعريفات العلماء للإخلاص لكنها تدور حول معنى واحد وهو ترك الرياء، بمعنى أن يكون قصد العبد من أعماله رضا الله..

رضا الله فقط، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، قَلَّ أم كثر، إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه، وزال به إخلاصه.

قال سهل بن عبد الله التُستري: "نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه شيء، لا نفس، ولا هوى، ولا دنيا.

الإخلاص: هو أن يكون الإنسان مع الله على كل حال.

وقد عرفه بعض العلماء فقال:نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

لقد انكشف لأرباب القلوب بنور البصيرة أنه لا وصول إلى السعادة إلا بالعمل والعبادة فالناس هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا العابدون، والعابدون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.الإخلاص: روح الدين ولباب العبادة وأساس أي داع إلى الله. فأول الدين معرفة الله، وكمال المعرفة التصديق، وكمال التصديق توحيد الله، وكمال التوحيد الإخلاص لله. وهو أشد شئ على النفس قيل لسهل:أي شئ أشد على النفس قال: الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب.

<u>عزة الإخلاص وصعوبة تحصيله:</u>

مما لا شك فيه أن تخليص الأعمال من شوائب حظوظ النفس من الرياء، والتسميع، وحب المدح والثناء.. وغيرها من الآفات والشهوات أمر شاق

على النفوس، ولهذا قيل: أشد شيء على النفس الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب.

وقيل: تخليص الأعمال على العمّال أشد عليهم من جميع الأعمال.

وقالوا: إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز.

قال الغزالي رحمه الله:"...فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزة الإخلاص وعُسْر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى.

الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص:

إن أعظم أسباب تحقيق الإخلاص هو تعظيم الرب سبحانه وتعالى ويقين العبد بإطلاع الرب عز وجل عليه، وعلمه سبحانه بمكنونات الصدور:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}غافر:19.

ومنها: نسيان رؤية الخلق، بمعنى ألا يقيم للناس وزناً عند تعامله مع ربه سبحانه وتعالى، فيحرص على رضا ربه دون نظر إلى مدح الناس أو ذمهم.

ومنها: إخفاء العمل، فكلما كان العمل بين العبد وبين ربه كان ذلك أقرب إلى الإخلاص، ولهذا وجدنا كثيراً من السلف يخفون أعمالهم عن الخلق مخافة الرياء. حتى إن أحدهم ليدخل في فراشه، ثم يخادع زوجته، فإذا علم أنها قد نامت قام فصلى.

وما أحلى قول نبينا . ﷺ - في السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: " ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه".([1])

[1]) البخاري ومسلم.

ومنها: الإكثار من دعاء الله أن يرزق العبد الإخلاص، وأن يعيده من الرياء، ومن أجمع الأدعية في ذلك: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه ". وكان عمر يسأل ربه الإخلاص فيقول:"اللهم اجعل عملنا كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد من خلقك فيه شيئاً.

للإخلاص فضائل عظيمة وآثار جليلة، منها:

1. يحمى القلب من الحقد والخيانة اللذان يحبطان العمل.

فالإخلاص تنقية القلب من الشوائب كلها قليلها وكثيرها. الإخلاص ماء حياة القلوب ومدار الفلاح كله عليه فإنه يطهر القلب من الحقد والخيانة عن أبى سعيد الخدرىﷺ أن النبي قال في حجة الوداع: "نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقه ليس بفقيه ثلاث لا يغل(الحقد والخيانة)عليهن قلب امرئ مؤمن إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعائهم يحيط من ورائهم".([1])

قال ابن القيم في هذا الحديث: أي لا يبقى فيه غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة.

وقال الجنيد رحمة الله: "إن الله عز وجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب إليه من ذكره فانظر ماذا خالط قلبك.

قال أحد العلماء: إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز.

الإخلاص كسر حظوظ النفس، وقطع التجرد عن الدنيا، والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب.

2. وصية المرسلين:

---

[1]) صحيح الترغيب(5/1)

operkandi.com

قال الحافظ في الفتح19/1: قال أبو العالية: "وصاهم بالإخلاص في عبادته قال تعالى:{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ} الزمر:11.

وقال تعالى:{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي }الزمر:14.

وقال تعالى:{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}غافر:14.

وقال تعالى:{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}غافر:65.

وقال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}البينة:5.

2. يحمى الإنسان من الشيطان:

قال تعالى:{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر:39.

فلا يملك الشيطان أن يزين للمخلصين لأنه محصور عنهم ولأنهم منه في حمى ولأن مداخله إلى نفوسهم مغلقة، وهم يعلقون أبصارهم وقلوبهم بالله إن الشيطان لا يلتقف إلا إلى الشاردين كما يلتقف الذئب الشاردة من القطيع فأما من يخلصون أنفسهم لله فالله لا يتركهم للضياع ورحمة الله واسعة ويكفي فخرا وشرفا أن الله نسبهم إلى نفسه.

قال عمر لمعاذ بن جبل ﷺ ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهن المنجيات الإخلاص وهو الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة هي الملة والطاعة وهى العصمة قال عمر ﷺ: صدقت".قيل: "طوبى لمن صحت له خطوة لم يرد بها إلا وجه الله.وكان أحد الصالحين يقول لنفسه:أخلصي تخلصي.

اتخذ قوم شجرة صاروا يعبدونها من دون الله فسمع بذلك عابد فحمل فأسا وذهب إلى الشجرة ليقطعها وعندما وصل إليها تمثل له الشيطان في صورة

رجل ووقف بينه وبين الشجرة وقال: ماذا تريد أيها الرجل؟ قال: أن أقطع الشجرة.فقال إبليس: لماذا؟ قال العابد:لأنها تضل الناس.وأنا أريد أن يصغى الناس لصوت الله. فقال الشيطان: لن أدعك تقطع الشجرة والرجل يقول:لابد من قطعها.فأمسك إبليس بثوب العابد وتصارعا طويلا وانتهت المعركة بأن صرع العابد المخلص الشيطان، وطرحه على الأرض، وجلس على صدره فلم يجد الشيطان إلا الحيلة.قال للعابد: دعني ولك كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك تجدهما تحت وسادتك.، وعاد العابد إلى صومعته وصار يستقيظ كل صباح، ويمد يده تحت الوسادة فيجد الدينارين حتى مضى على ذلك شهر، وفي ذات صباح مد العابد يده، فلم يجد الدينارين، فغضب، وأخذ فأسه، وذهب ليقطع الشجرة، فوجد إبليس عندها فقال: للعابد إلى أين؟ قال العابد:لأقطعها فمنعه الشيطان ودارت بينهما معركة انتصر فيها الشيطان على العابد الذي تعجب وقال للشيطان المتمثل في صورة رجل: أخبرني كيف تغلبت علىّ؟ فقال الشيطان: لما كنت مخلصا، وغضبت لله غلبتني، ولما غضبت للدينارين غلبتك وأنا الشيطان.

3- حفظ العبد من الآفات المهلكة.

قال الله عز وجل: {.... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}**يوسف:24**.

4- النجاة من الشدائد:

ففي حديث الثلاثة الذين انسد عليهم الغار أنهم توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم التي فعلوها ابتغاء وجه الله، ففرَّج الله عنهم.

5. سبب في قبول العمل:

عن أبى أمامة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله . ﷺ ـ فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله . ﷺ ـ: "لا

شيء له". فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله . ﷺ .:"لا شيء له"، ثم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه".([1])

6- الفوز بالجنة:

قال . ﷺ.: " من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة".([2])

لطيفة:

شجرة الإخلاص ثابتة لا يضرها زعزعة(أين شركائي) أما شجرة الرياء فاجتثت عند نسمة"وقفوهم" ريح المخلصين عطرية القبول وللمرائي سموم النسيم نفاق المنافقين صيّر المسجد مزبلة (لا تقم فيه أبدا)إخلاص المخلصين رفع قدر الوسخ (رب أشعث أغبر) فيا آسفا ذهب الإخلاص والحقيق وبقيت بنيات الطريق رحل والله السادة وبقى قرناء الرياء والوسادة.

أخيراً أن نعلم أن تحقيق الإخلاص عزيز، لذا فإنه يحتاج إلى مجاهدة قبل العمل وأثناءه، وبعده، حتى يكون عمل العبد لله. فالمخلصون كما ذكر ابن القيم:"أعمالُهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله؛ فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحدَه لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هرباً من ذمِّهم. بل قد عَدُّوا الناس بمنزلة أصحاب القبور؛ لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

فالعمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم البتة؛ بل من جاهل بشأنهم وجاهل بربه؛ فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه".

---

[1]) النسائي وقال العراقي في الإحياء إسناده حسن.

[2]) مسلم(4/2)

obeikandl.com

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله واسكنه فسيح جنته: إنّ حرارة الإخلاص تنطفئ رويدا رويدا كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة، وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه، وبعد الصيت، والرغبة في العلو، والافتخار، وذلك لأن الله يحب العمل النقي الخالص من الشوائب.

المبحث الثاني:فضل سلامة الصدر:

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ ..أما بعد:

القلب كالملك بالنسبة لأعضاء الجسم يتصرف فيها كيفما شاء فكلما كان القلب سليم كلما كان صاحبه في عيش سعيد وسعد به من حوله. والسليم هو السالم الذي صارت السلامة صفة ثابتة له فهو الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فخلصت عبوديته لله تعالى إرادة، ومحبة، وتوكلا، وإنابة، وإخباتا، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله، فإن أحب أحب لله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله . ﷺ .، فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الإقتداء به وحده دون غيره في الأقوال، والأفعال. قال رسول الله . ﷺ .: "ألا إنّ في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب".([1]) يقول الإمام على رضي الله عنه:" إن لله في أرضه آنيه وهى القلوب فأحبها إلى الله ارقها، وأصفاها، وأصلبها في الدين واصفاها في اليقين وذلك إشارة إلى قوله تعالى{أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}

وللقلب السليم علامات منها:

[1]) البخاري.

1. كثرة الذكر:

فالقلوب كالقدور وألسنتها مغارفها. فاللسان يخرج ما في القلب من حلو أو حنظل فإذا امتلأ القلب بحب الرب تحرك اللسان بالذكر والقرآن قال أحد الصالحين:لا يجد للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

2. ينصب الجسد في الخدمة ولا يمل القلب:

كما كان رسول الله . ﷺ. يصلى حتى تتورم قدماه.

قال يحيي بن معاذ: من سر بخدمة الله سرت الأشياء كلها بخدمته ومن قرت عينه بالله قرت عين كل أحد بالنظر لله.وكان رسول الله . ﷺ. يقول: "وجعلت قرة عيني في الصلاة".([1])

3. يقطع وقته في الذكر وقرأة القرآن:

وأن يجعل دنياه إرضاء لربه قال تعالى{وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى}الليل:**19**.

يقول الإمام علىﷺ:"من شغله أمر دينه كفاه الله أمر دنياه ومن أحسن سريرته أحسن الله علا نيته، ومن أحسن مابينه، وبين الله أحسن الله بينه، وبين الناس.

قال الغزالي: القلب السليم هو القلب الساعي إلى الله الكاشف بما عند الله والجوارح إتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك والقلب المقبول هو عند الله إذا سلم لله.

فضل سلامة القلب:ـ

تدخل الجنة كان رسول الله . ﷺ. يعظ الناس عقب صلاة العصر فقطع كلامه وقال: "سيطلع علينا رجل من أهل الجنة فانتظر الصحابة فإذا أعرابي يأتي فيلقى السلام وفي اليوم الثاني بشرهم الرسول بنفس البشارة

---

[1]) **صحيح الجامع برقم(3098)**

obeikandl.com

فوجدوه رجل الأمس وفي اليوم الثالث كذلك فاتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال له: إنّ بيني وبين أبى شيء وأنا ضيفك فقبل الرجل دعوته ثلاث وانتظر بن عمرو منه كثرة العبادة ولما لم يجد منه كثير العبادة قال له: خبرني بأرجي عمل عملته فإني سمعت رسول الله .

ﷺ يقول: كذا وكذا ثلاثا فقال: هو ما ترى غير أنى لا أجد في قلبي غشا ولا حقدا على خير أعطاه الله أي "أنام وليس في قلبي شيء لمسلم "فقال عبد الله: هي التي بلغتك".

قال رسول . ﷺ ـ عندما سأله ابن عمر من خير الناس؟ قال: "كل مؤمن مخموم القلب قالوا وما مخموم القلب:؟ قال: "هو التقى النقي الذي لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد".([1])

*****

المبحث الثالث: فضل التوكل على الله:ـ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ ..أما بعد:

التوكل استسلام للإرادة الإلهية، وتفويض للقدرة الربانية، واعتراف بعجز القوى البشرية، ورد ذلك إلى المنزه عن كل نقص.وهو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا، والآخرة، وكله الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطى، ولا يمنع، ولا يضر، ولا ينفع سواه.([2])

---

[1]) صحيح سنن ابن ماجة.

[2]) جامع العلوم والحكم ابن رجب.

obeikandl.com

من توكل على الله اسكن الله قلبه الحكمة، وكفاه كل هم، وأوصله إلى كل محبوب، فإنه عز وجل يقول:{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}الطلاق:3.أي هو القائم له بكل كفاية.

يقول الشيخ الشعراوى رحمة الله: التوكل أن تتعب بدنك وتريح قلبك.

والتوكل على الله فريضة، لقوله:{وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}المائدة:23.

إنّ كل من سار في هذه الدنيا، ووطأت قدمه الثرى، يحتاج إلى من يعينه وينصره، ويحتاج إلى من يتوكل عليه، وينصرف بقلبه إليه لهذا كان التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه في جلب المنافع، ودفع المضار، وحصول الأرزاق، والنصر على الأعداء، وشفاء الأمراض، وغير ذلك من أهم المهمات، وأوجب الواجبات، ومن صفات المؤمنين، والمؤمنات، ومن شروط الإيمان، ومن أسباب قوة القلب، ونشاطه، وطمأنينة النفس، وسكينتها، وراحتها..

وللتوكل فضائل منها:

1. التوكل شعار الأنبياء:

كان رسول الله . ﷺ - عندما يخرج من بيته يقول: "بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله"وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حينما ألقى في النار، وقالها النبي وأصحابه حينما قال لهم الناس: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}آل عمران173."([1])

وهو صفة الرسول . ﷺ . في التوراة. قال عطاء بن يسار لعبد الله بن عمرو بن العاص . ﷺ .: دلني على صفة رسول الله . ﷺ . في التوراة فقال: والله إنه

[1]) البخاري.

لموصوف ببعض صفاته في القرآن: يأيها النبي إنا أرسلناك شاهد، ومبشرا، ونذيرا، وحرزا للأميين أنت عبدي، ورسولي سميتك ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفوا، ويعفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لإله إلا الله، فيفتح بها أعيننا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا".([1])

وقال في حق نوح:{إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ} **يونس:71**.

وفي حق شعيب قال تعالى:{عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} **الأعراف:89**.

أما كليم الله موسى:{وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ}**يونس:84**.

والخليل يقول:{إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}**الممتحنة:4**.

2. سبب في حصول الرزق:

المؤمن المتوكل هو الذي يطلب كلا شيء عن طريق سببه عملا بسنة الله في خلقه فليس التوكل قولا باللسان، وعملا بالجوارح فحسب إنما هو إيمان صادق بأن من وكل أمره لله فإنه هو الذي يفرج كربه ويكشف ضره وييسر أمره{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} قال رسول الله ﷺ:"لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا".([2])

---

[1]) **البخاري.**

[2]) **صحيح الجامع برقم(525)**

openkanal.com

وقال سالم بن الجعد: حدثت أن عيسى عليه السلام كان يقول: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضول الدنيا، فإن فضول الدنيا عند الله رجز، هذه طير السماء، تغدو، وتروح، ليس معها من أرزاقها شئ، لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها.

والله يقول:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}هود:6.

3. من علامات الإيمان:

قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}الأنفال:2.

قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان.([1])

قال الحسن: إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقة.([2])

4. نصف الدين:

قال ابن القيم: التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة وهى العبادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين، لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين فأولياؤه، وخاصة يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابه وتنفيذ أوامره".([3])

4. يحقق الإيمان

قال تعالى:{ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}المائدة:23.

5. يجعل الله يكفي صاحبه جميع أموره:

---

[1]) الرسالة القشيرية (ص238)

[2]) **الرسالة القشيرية(238)**

[3]) **مدارج السالكين.**

obeikandl.com

قال تعالى:{ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}الطلاق:3.

قال ابن القيم:أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه.

6. سببا في محبة الله:

قال تعالى:{..فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}آل عمران:159.

7. يحمى من الشيطان:

قال تعالى:{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}النحل:99.

8. يورث الرضا:

قال ابن القيم رحمه الله واسكنه فسيح جنته:فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله.

9. يدفع عن الإنسان السحر والحسد والعين:قال تعالى: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}يوسف:67.

10. يدخل الجنة بدون حساب:

قال رسول الله . ﷺ.: "يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بدون حساب ثم قال:هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون".([1])

**<u>التوكل والأخذ بالأسباب:</u>

قال ابن رجب: واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدرات به وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمر بالتوكل: فالسعي في الأسباب

[1]) البخاري.

obeikandl.com

بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب إيمان به: قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً}النساء:71.

وقال تعالى:{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}الأنفال:60.

وقال تعالى:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}الجمعة:10.

وعن أنس بن مالك . ﷺ .: أن رجلا سأل النبي . ﷺ . عن ناقته: أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال له: "أعقلها وتوكل"

لقي عمر بن الخطاب ناسا من اليمن فقال: من انتم؟ قالوا:نحن المتوكلون:قال:بل أنتم المتواكلون إنما المتوكل الذي يلقى الحبة في الأرض ويتوكل على الله عز وجل.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون، فيحجون فيأتون أهل مكة، فيسألون الناس فأنزل الله قوله تعالى:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} البقرة:197.

إذا فليس هناك تعارض بين التوكل والأخذ بالأسباب، فالنبي . ﷺ . أعظم المتوكلين على الله عز وجل فهذا حاله، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته، وقيل عدم الأخذ بالأسباب طعن في التشريع، والاعتقاد في الأسباب طعن في التوحيد.

وأكبر دليل على الأخذ بالأسباب حال السيدة مريم أم المسيح عليه السلام بعد أن وضعت السيد المسيح وهى في حالة مخاض وإذا بالله يأمرها بهز النخلة حتى يتساقط عليها الرطب وهل سبحانه وتعالى كان عاجزا أن ينزل

عليها الرطب بدون هز؟ وهل هى تستطيع أن تهز النخل حتى تسقط الرطب؟ لكنه قانون وسنة الأخذ بالأسباب قال الشاعر واصفا القصة:

توكل على الرحمن في الأمر كله*ولا ترغب في العجز يوما عن الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم ** وهزي إليك الجزع يساقط الرطب

ولو شاء أدلى الجزع من غير هز** إليها ولكن كل شيء له سبب

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم أرزقني فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. وقد رأي زيدا ابن مسلمة وهو يغرس غرسا فقال له: أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لله عليك.

وقال: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلىَّ من موضع أتسوق فيه لأهلي أبيع واشترى.

اللهم إنا نعوذ بك من النار والقطيعة والبوار ومن شر الأشرار وكيد الفجار ونسألك أن تدخلنا الجنة التي تجرى من تحتها الأنهار دار الأبرار بجوار النبي المختار . ﷺ ..

*****

المبحث الرابع: فضل مراقبة الله عز وجل.

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ ..أما بعد:

إن الله اللطيف الخبير وسع كل شيء علما، لا يخفي عليه شيء في السماوات ولا في الأرض' وإذا علم العبد هذه المعاني وجب عليه أن يراقب ربه في كل حركاته وسكناته.

والمراقبة: هي دوام علم العبد وتيقنه بإطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، وهي ثمرة علم العبد بأن الله رقيب عليه، ناظرٌ إليه، سامع لقوله، وهو سبحانه مطلع على عمله كل وقت وكل طرفة عين.

قال الله تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}الحديد:4.،

وقال تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}البقرة:235.،

وقال:{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً}الأحزاب:52.

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي . ﷺ . عن الإحسان فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

ولله در الإمام أحمد رحمه الله وهو يقول:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل.. ... ..خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً.. ....ولا أن ما تخفي عليه يغيبُ

*وللمراقبة العديد من الفضائل منها:

1. المراقبة تعبُّدٌ لله بأسمائه الحسنى:

المراقبة هي التعبد لله بأسمائه: "الرقيب، الحفيظ، السميع، العليم، الخبير، البصير، الشهيد، والمحصي"؛ فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة.

الله هو الرقيب: الله سبحانه هو الرقيب، يعلم أحوال عباده، ويعد أنفاسهم، حفيظ لا يغفل، وحاضر لا يغيب، قال تعالى في قول عيسى لربه:{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}المائدة:117.

وقد سُئل بعضهم: بم يُستعان على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى المنظور.

وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى. فسأله عن تفسير ذلك؟ فقال: كُن أبدًا كأنك ترى الله.

فهو سبحانه:

رقيب على كل الوجود مهيمنٌ .. ... على الفلك الدوار نجمًا وكوكبًا

رقيب على كل النفوس وإنْ تَلُذْ..... بصمت ولم تجهر بسرٍ تغيبًا

رقيب تعالى مالك الملك مبصرٌ.. ... به كل شيءٌ ظاهرًا أو محجبًا

والله هو الحفيظ:

قال تعالى:{وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}سبأ:21.،

فمن علم ذلك حفظ قلبه وجوارحه من معاصيه.

العليم: فمن علم أنه سبحانه عالم بكل شيء حتى بخطرات الضمائر، ووساوس الخواطر، راقب ربه واستحيا منه، وكف عن معاصيه، قال تعالى:{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}الملك:13.

الشهيد:

قال تعالى:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} يونس:61.

وهكذا بقية أسمائه الحسنى، فإن التعبد لله بمقتضاها يورث القلب مراقبة الرب عز وجل.

2. تحجز الإنسان عن الوقوع في المعاصي:

من راقب الله وجده أماه وبذلك يعلم أن الله مطلع عليه فيمنع عن الوقوع في المعاصي.

قال عامر بن قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه مني.

وقد مرَّ ابن عمر رضي الله عنهما براعٍ فطلب منه شاةً يشتريها فقال: ليس هاهنا ربها. قال ابن عمر: تقول له: أكلها الذئب. قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: فأين الله؟ فقال ابن عمر ﷺ: أنا والله أحق أن أقول: أين الله؟ واشترى الراعي والغنم، فأعتقه وأعطاه الغنم.

وقصة عمر ابن الخطاب ﷺ وهو يتفقد الرعية لما سمع المرأة تطلب من ابنتها أن تغش اللبن بالماء والبنت ترفض وتقول: إنّ أمير المؤمنين منع ذلك. فتقول الأم: إنّ كان عمر لا يرانا. فتقول البنت: إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا.

فحري بالعبد أن يراقب ربه، فهو لا يغيب عن نظره سبحانه طرفة عين:{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}المجادلة:7.

قال حُميد الطويل لسليمان بن علي: عظني. فقال:" لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد. لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه. فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له. فقلوب الجهال تستشعر البعد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفُّوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفوا عن الانبساط.

تعلق قلب رجل بامرأة من أهل البادية فراودها عن نفسها فقالت له: أنظر أنام الناس فطاف حول مضارب الحي فوجدهم نيام فرجع مسرورا ظانا أنها قد أجابته فقال لها: نام الناس جميعا. فقالت:بقى واحد. قال: ومن هو؟قالت: الله هل هو نائم الآن؟ قال: سبحان الله ربى لا تأخذه سنة ولا

نوم.قالت:أما تستحي أن يرانا على معصية فتاب وأقلع ثم مات بعدها بأيام فرآه بعض الصالحين بعد موته في الجنة.قال له بما نلت هذه المنزلة قال بمراقبتي لله وخوفي منه وتوبتي إليه.

كان حاتم الأصم يذهب إلى شقيق البلخي يتعلم منه الزهد وظل كذلك ثلاثين عاما فسأله شقيق يوما أي شيء تعلمت؟ قال حاتم: رأيت رزقي عند ربى فلم أشتغل إلا بربي ورأيت أن الله وكَلَّ بي ملكين يكتبان علىّ كل ما تكلمت به فلم انطق إلا بالحق ورأيت أن الخلق ينظرن إلى ظاهري والله ينظر إلى باطني فرأيت مراقبته أولى وأحب ورأيت الله مستخف يدعو الخلق إليه فاستعددت له متى جاءني الموت وجدني مستعدا له.فقال له شقيق:يا حاتم ما خاب سعيك.

إذا ما خلوت الدهر فلا تقل خلوت.....ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة.....ولا أنّ ما تخفي عليه يغيب

ألم تر أنّ اليوم أسرع ذاهبا..... وأن غدا لناظره قريب

3. سببا في دخول الجنة:

قال مالك بن دينار: جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له: ومن يسكنها ؟ قال:يقول الله عز وجل إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب.

سئل ذو النون المصري: بما ينال الإنسان الجنة؟ فقال: بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلن وانتظار الموت بالتأهب له.

أما علامة المراقبة لله فهي إيثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله.

نسأل الله أن يرزقنا خشيته ومراقبته في السر والعلن إنه ولي ذلك والقادر عليه.

*****

المبحث الخامس:فضل الخوف من الله: ـ

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ ..أما بعد:

الخوف سوط الله الذي يسوق به عباده إلى العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله تعالى.

وهو عبارة: عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، والخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي، ويقيدها بالطاعات.لقد أمر الله بالخوف، وأوجبه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف، وإن ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته، وإيمانه قال تعالى:{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}البقرة:40. أي خافون خوفا معه تحرز فيما تأتون، وتذرون وفي الآية أن المؤمن لا يخاف أحدا إلا الله.

وكان عبد الله بن عمر وبن العاص رضي الله عنهما قال: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فو الذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه.

والخوف له قصور وله اعتدال والمحمود والوسط.

قال الإمام على ﷺ: خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو لأتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك.

وللخوف فضائل عظيمة ومنافع جليلة منها:

obeikandl.com

1. يوصل إلى العلم، والهدى، والرحمة، وهى مجامع مقامات أهل الجنة:

قال تعالى:{هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}الأعراف:154.

وقال تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}فاطر:28.

وقال تعالى:{رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}البينة:8.

وكل ما قيل في فضل العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم قال عز وجل{وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }آل عمران:175.

2. عنوان الإيمان:

قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ{57} وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ{58} وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ{59} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ{60} أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}

وعن عائشة رضي الله عنهما قالت: سألت رسول الله . ﷺ . عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر، ويزنون ويسرقون؟ فقال:"لا يا ابنته الصديق ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، ويخافون أن لا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات".([1])

قال الحسن البصري: إنّ المؤمنين قوم ذلت منهم والله الأسماع، والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضي، وإنهم والله الأصحاء، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن، أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولا تعاظم في قلوبهم شئ طلبوا به الجنة، إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت

[1]) رواه الترمذي ووافقه الذهبي.

obeikandl.com

نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير الله عليه نعمة في غير مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه.

3. سببا في مغفرة الذنوب:

وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} الملك12.

وقال رسول الله ﷺ:"إنّ رجلا حضره الموت، فلما يأس من الحياة أوصى أهله، إذا أنا مت فأجمعوا لي حطبا كثيرا، وأوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا فذروه في اليم: ففعلوا فجمعه الله فقال له: لما فعلت ذلك قال من خشيتك فغفر الله له".([1])

4. الخوف يحرق الشهوات المحرمة:

فتصير المعاصي المحبوبة عنه مكروه، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سما، فتحرق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الخشوع، والزلة، والاستكانة، ويفارقه الكبر، والحقد، والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه، والنظر في خطر عاقبة، فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا مراقبة الله في السر، والعلن.ويكون حاله حال من وقع في مخلب سبع ضار لا يدرى أنه يغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره، وباطنه مشغولا بما هو فيه خائفا منه لا متسع فيه لغيره فهذا حال من غلبه الخوف، والإفراط في الخوف وهو الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضا لأنه يمنع من العمل.

4. سببا في دخول الجنة:

---

[1]) البخاري.

obeikandl.com

قال تعالى حاكيا عن أهل الجنة:{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ{25} قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ{26} فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ{27} إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ{28}الطور 25.28.

عن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله . ﷺ ـ يقول: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ ألمنزله ألا إنّ سلعة الله غالية ألا إنّ سلعة الله الجنة".([1]) معنى هذا الحديث أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة خوفا من العوائق.

**أمثلة لخوف النبي ـ ﷺ ـ، والملائكة، والصحابة عليهم رضوان الله:

عن أنس ﷺ قال: خطب رسول . ﷺ ـ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا فغط أصحاب الرسول وجههم ولهم خنين".([2]) وفي رواية، بلغ رسول الله . ﷺ ـ من أصاحبه شيئا فخطب فقال: "عرضت على الجنة، والنار فلم أر كاليوم من الخير، والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا".فما أتى على أصحاب رسول الله . ﷺ ـ يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين " والخنين: بكاء مع غنة بانتشار الصوت من الأنف.

وعن عبد الله بن الشخير ﷺ : أن رسول الله . ﷺ ـ كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل".([3]) فهذا خوف النبي، وهو الذي غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

*خوف الملائكة الكرام:

---

[1]) الترمذي ووافقه الذهبي والألباني.

[2]) البخاري.

[3]) رواه أبو داود.

obeikandi.com

فقد قال الله عز وجل:{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}النحل:50.

*خوف أبي بكر ﷺ

وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار وأول من يدخل الجنة بعد الأنبياء، وأول العشرة المبشرين بالجنة، محرر العبيد، من أسلم على يديه ستة من العشرة المبشرين بالجنة، الذي أثنى عليه ربه في قرأنه الكريم آلا ﷺ وأرضاه. لما حضرته الوفاة دخلت عليه ابنته عائشة رضي الله عنهما.وقالت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى **إذا حشرجت يوما وضاق بها

فقال: لا تقولي هذا ولكن قولي:{وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ }ق.وأوصى أن يكفن في ثوبه المرقع لعل الله يرحمه.

*خوف عمر بن الخطاب

وهو من أيده الوحي في الكثير والكثير، العبقري الملهم، ثاني رجل في الفضل بعد أبى بكر، فقد قرأ ﷺ سورة الطور حتى بلغ: {إن عذاب ربك لواقع} بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهو يموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثا ثم قضى.

وكان عليه رضوان الله يمر بالآية في ورده بالليل تخيفه فيبقى في البيت أياما يعاد يحسبونه مريضا، وما به مرض ولكنه الخوف من الله، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء، وقال له ابن عباس: مصر الله بك ألأمصار، وفتح بك الفتوح وفعل.فقال: وددت أن أنجو لا أجر، ولا وزر.

*خوف عثمان بن عفان ﷺ

زوج ريحانتي رسول الله ـ ﷺ ـ ذو النورين المتصدق بماله، الذي جهز جيش العسرة، الذي اشترى بئر رومة، ووهبها للمسلمين. ثالث رجل بعد أبى بكر وعمر.

كان إذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته، قال: لو أنني بين الجنة والنار ولا أدرى إلى أيتهما أصير لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتها أصير.وهو الذي قتل وهو صائم ويقرأ القرآن وأفطر بعد استشهاده مع الأنبياء الكرام.

*خوف على بن أبي طالب رضي الله عنه

فدائي الإسلام منذ طفولته البطل المغوار زوج السيدة فاطمة بنت رسول الله . ﷺ .، ابن عم رسول الله . ﷺ .، من تربى على عيني رسول الله . ﷺ ..

أول من أسلم من الصبيان رابع رجل في الفضل بعد أبى بكر، وعمر، وعثمان.

أبو الحسن، والحسين سيدا شباب أهل الجنة.سلم ذات يوم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده ويقول: لقد رأيت أصحاب رسول الله . ﷺ .، فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله، تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع، حتى تبل ثيابهم، والله فكأني بالقوم باتوا غافلين، فما رُؤىَّ بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم.

*خوف عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

كان رضي الله عنهما بين عينيه مثل الشراك البال من كثرة الدموع.

*خوف أبي ذر رضي الله عنه

كان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة، ولا دخلتم بيتا تستظلون به، لخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم، لوددت أنى شجرة تعضض"تمضغ" ثم تأكل.

*****

obeikandi.com

المبحث السادس:فضل الرجاء:

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشـهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ..أما بعد:

الرجاء: هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده مع وجود سببه أما إذا كانت الأسباب غير موجودة فهو حمق وغرور وسفه.أما إذا كان الأمر مقطوعا به كسنن الله في الكون مثل تعاقب الليل، والنهار، وطلوع الشمس، فلا يسمى رجاء.

إنّ الرجاء وحسن الظن بالله ينزل على قلوب البائسين بردا وسلاما فيطفئ ما في قلوبهم من بأس إنه نسمة ندية ترطب جفاف حياتهم.

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ******نفس المحب تحسرا وتمزقا

لولا الرجاء يحدو المطى لما سرت ***بحمولها لديارهم ترجو اللقا

وللرجاء الكثير من الفضائل نذكر منها:

1. مغفرة الذنوب:

والتي هي أمل كل إنسان على وجه الأرض لأنه لا يوجد إنسان لم يذنب فالكـل أذنـب وبالتـالي الكـل يحتـاج إلـى العفـو والمغفـرة. عـن أنـس ﷺ قال:سمعت رسول الله . ﷺ ـ يقول: قال الله تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنا السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة".

روى الإمام أحمد: أن شيخا كبيرا جاء الرسول . ﷺ. وهو متكئ على عصاة فقال: يا رسول الله . ﷺ.: إنّ لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي؟ قال رسول الله . ﷺ.: "ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال:بلى واشهد أنك رسول الله، فقال رسول الله . ﷺ.: "قد غفر لك غدراتك وفجراتك".

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا القتل، وزنوا فأكثروا فأتوا النبي ﷺ ـ فقالوا: إنّ الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما علمناه من كفارة فنزل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً}الفرقان:68.

وقال فقير بن مسكين: دخلت على الشافعي أعوده في مرض موته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا، ولإخواني مفارقا، ولكأس المنية، شاربا، ولا أدرى أروحي تصير إلى الجنة فأُهنيها أم إلى النار فأعزيها وأنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي....جعلت الرجا منى لعفوك سلما

تعاظمنى ذنبي فلما قرنته.....بعفوك ربى كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو ولم تزل..... تجود وتعفو منة وتكرما

لولاك لم يغو بإبليس عابد..... فكيف وقد أغو صفيك آدما

قال تعالى:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الزمر:53.

وقال تعالى:{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}النساء:48. في الآية الأولى أطلق وعمم أطلق المغفرة وعم بها كل الذنوب وفي الثانية قيد وخصص قيد المغفرة وخصصها بما دون الشرك فحمل العلماء الأولى على التائب، والثانية في حق غير التائب.ولما حضرت الوفاة أحمد بن حنبل قال لابنه:أذكر لي أحاديث الرجاء.

2. يدخل الجنة:

قال تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي".([1])

قال ابن الجوزى:أي في الرجاء وأمل العفو.وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي قبل موته بثلاثة أيام يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل".([2])

قال العلماء: معنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا، وإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء، لأن مقصود الخوف الإنكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على إكثار الطاعة وصالح العمل وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى.

قال القرطبي: نهوا أن يموتوا على غير حالة حسن الظن وذلك ليس بمقدورهم بل المراد الأمر بتحسين الظن ليوافي في الموت وهو عليه. ومصداق ذلك قوله تعالى:{ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}آل عمران:**102**.

3. يوثق الإيمان بالله:

وذلك بأن يثق الإنسان في موعود الله بالرحمة، والمغفرة والعفو والغفران.

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا:لا والله.فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها".([3])

---

[1]) **البخاري.**

[2]) **مسلم.**

[3]) **البخاري ومسلم.**

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ .: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب هو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبى".([1])

وعنه ﷺ قال: سمعت رسول الله . ﷺ . يقول: "جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه".([2])

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ .: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيفر لهم".

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله . ﷺ . يقول: "يدنو المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟. فيقول: رب أعرف.قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته".([3])

ولكن كثير من الناس اعتمدوا على رحمة الله، وعفوه، وكرمه فضيعوا أمره، ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب وأنه ل أيرد بأسه عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند.

قال معروف رحمة الله: رجاؤك لرحمة من لم تطيعه من الخذلان والحمق.

**<u>هل يتعارض الخوف والرجاء؟</u>

المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفا رجيا وأن يكون خوفه، ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يتمحض الرجاء، والقلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد

---

[1]) البخاري ومسلم.

[2]) البخاري.

[3]) البخاري.

obeikandl.com

الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف.

كان أحد الصالحين يناجى ربه قائلا: الهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إلىَّ ساعة يكون فيها لقاؤك.

*****

المبحث السابع: فضل التواضع:ـ

الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ﷺ. أما بعد:

سمه الشرفاء الكرماء السادة الذين لا يحتاجون إلى إخفاء نقيصة، أو رفع نفس قال تعالى:{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }القصص:83.

سئل الفضيل عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبل الحق ممن تسمعه منه.

وقد جعل الإسلام للتواضع العديد من الفضائل التي تدعو كل إنسان أن يتخذ التواضع شعارا له قولا وعملا **ومن هذه الفضائل:ـ**

1. أنها من هدى النبي . ﷺ.:

الذي قال: "تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد".([1])

بأبي هو وأمي كان يعقل البعير ويرعى الغنم، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقِّع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويصافح الكبير، والصغير، والغنى، والفقير.دخل عليه الصحابة ذات يوم وهم، وجلون خائفون فقال لهم: أربعوا

[1]) مسلم.

(أي هونوا)على أنفسكم فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد(الخبز اليابس)

تواضع لما زاده الله رفعة** وكل رفيع قدره متواضع

جلاله قدر في خمول تواضع**إن التواضع للمعالي سلم

وأولوا التواضع يخشعون فيرفعوا

اجتمع مع الصحابة . ﷺ. بفلاة يعنى صحراء وأرادوا أن يذبحوا شاة فاختار كل واحد من الصحابة عملا واختار هو بأبي وأمي أشق عمل فاختار جمع الحطب.

2. سببا في رفع الله للعبد:

قال رسول الله . ﷺ .: "ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه".([1])

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إنّ العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته.

وروى أن رسول الله . ﷺ. قال:"من تواضع لله رفعة".([2])

عتبه بن غزوان ﷺ قال: كنت سابع سبعة مع رسول الله . ﷺ . والله مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرصت أفواهنا وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله وضيعا.

قال أبو رافع مولى رسول الله . ﷺ .: لما بلغ النجاشي نصرة رسول الله . ﷺ. سعد وفرح فرحا شديدا وطلب جعفر بن أبى طالب ومن كان معه من الصحابة فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا ثيابا خَلِقَة فقالوا له: ما هذا أيها الملك؟ فقال لهم: إني أبشركم بما يسركم إنه قد جاءني من نحو

---

[1]) مسلم.

[2]) الصحيحة برقم(2328)

obeikandi.com

أرضكم عين لي فأخبرني أن الله نصر نبيكم وأهلك فلان بن فلان وعد جماعة التقوا بمحل يقال له: بدر كثير الأراك كنت أرعى فيه غنما لسيدي من بني ضمرة . فقال جعفر: فما بالك تجلس على التراب وعليك ثياب خلقة؟ قال:إنا نجد فيما أنزلا على عيسى: أنً حقا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعا يحدث لهم نعمة"

كان ألكسائي يؤدب الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد فأراد يوما النهوض من عندهما فابتدرا إلى نعليه لينزعاها له فتنازعا أيهما يفعل أي يناوله الحذاء ثم اصطلحا على أن يقوم كل منهما بواحدة فلما رفع الخبر إلى الرشيد وجه إلى ألكسائي فلما مثل بين يديه قال له الرشيد:من أعز الناس؟ قال ألكسائي:لا أعلم أعز من أمير المؤمنين قال الرشيد: بلى إن أعز الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى يرضي كل منهما أن يقدم له واحدة.قال ألكسائي يعتذر حاسبا أنه أخطأ فقال: الرشيد لو منعتهما لأوجعتك لوما وعتبا ولألزمتك زنيا فما وضع ما فعلا من شرفهما بل رفع من قدريهما وبين عن جوهريهما فليس يكبر المرء وإن كان كبيرا عن ثلاث تواضعه لسلطانه ولوالديه ولمعلمه.

3. التواضع يزيد من حسنات العبد:

قال رسول الله . ﷺ .: "طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل المسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة".([1])

يقول عيسى عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة. أتى عمر بن عبد العزيز ضيف ذات ليله وكان يكتب فكاد

[1]) البخاري.

السراج يطفأ فقال: الضيف أقوم فأصلحه فقال أمير المؤمنين: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه.فقال الضيف:إذا أنبه الغلام ؟ فقال: عمر :إنها أول نومة نامها الغلام وذهب إلى البطة وملأ المصباح زيتا فقال له الضيف: يا أمير المؤمنين لما فعلت هذا فأجاب قائلا: ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شيئا وخير الناس من كان عند الله متواضعا.

*الأمور التي تعين على التواضع

أ . مجالسة الصالحين.

ب . كثرة ذكر الموت.

ج . التأسي بأفضل المتواضعين.

د . الاعتبار بنهاية المتكبرين مثل إبليس وفرعون والنمرود بن كنعان.

*****

المبحث الثامن: فضل الصبر

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ..أما بعد:

الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وهو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى. ولقد جعل الله الصبر جوادا، وصارما بتارا لا ينبوا، وجندا غالبا لا يهزم، وحصنا حصينا لا يهدم، وهو والنصر قرينان لذلك، أوصانا به ربنا به في كثير من الآيات. فالصبر آخية المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها، وساق إيمانه التي لا اعتماد له إلا عليها، فلا إيمان لمن لا صبر له، وإنّ كان فإيمان قليل في غاية الضعف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف فإنّ أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة، فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم، وترقوا إلى أعلى الدرجات بشكرهم، فساروا بين جناحي الصبر،

obeikandl.com

والشكر إلى جنات النعيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.لما أرادوا قطع رجل عروة بن الزبير قالوا له: لو سقيناك شيئا كيلا تشعر بالوجع. فقال إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره.

وها هي بعض فضائل الصبر:

1. أن الله مع الصابرين:

اخبر سبحانه أنه مع الصابرين بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين فقال {وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة.وذلك لأن الصبر اسما من أسمائه تعالى فهر سبحانه الصّبور.

2. جعل سبحانه وتعالى الإمامة في الدين مرتبطة بالصبر والقين:

قال تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} **السجدة:24**.

قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسا.

3. يعطون الأجر بدون حساب: وقد مدح الله الصابرين وأخبر أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب فقال{إِنَّمَا يُوَفي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }**الزمر:10**.

عن أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ .: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا".([1])

وعن عائشة رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله . ﷺ .: ما من مصيبة تصيب المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها".([2])

يقول رسول الله . ﷺ .: "تنصب الموازين يوم القيمة فيؤتى بأهل الصلاة، والصيام، والحج يوفون أجورهم بالموازين ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب

---

[1])**البخاري**.

[2]) **البخاري**.

لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب ثم قرأ رسول الله . ﷺ. قوله تعالى:{إِنَّمَا يُوَفي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}

4. خير لأهله:

وقد أقسم على ذلك الله تعالى فقال:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ }النحل:126.

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله . ﷺ. قال: "من يريد الله به خيرا يصب منه "يصيبه ببلاء".([1])

قال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزعه.

5. ينجى من كيد الأعداء:

قال تعالى:{وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }آل عمران:120.

6. ربط الفلاح بالصبر والتقوى:

فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}آل عمران:200.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله . ﷺ. يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله {إنا لله وإنا إليه راجعون}البقرة:155. اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها فلما مات أبو سلمة قلت:أي المسلمين خير من أبى سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله . ﷺ. ثم إني قلتها فأخلف الله لي".([2])

7. فاز الصابرون بمحبة الله:

---

[1]) البخاري.

[2]) مسلم.

obeikandl.com

وفي ذلك أعظم ترغيب قال تعالى:{وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}آل عمران :146.

8. بشر الله الصابرين بثلاث بشارات كل منها خير مما عليه أهل الدنيا:

قال عمر بن الخطابﷺ: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى، والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{155} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{156} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}البقرة:155.157.

9. الفوز بالجنة والنجاة من النار:

قال تعالى{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}المؤمنون:111.

قال رسول الله . ﷺ -: يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتم حبيبه أو صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة".([1])

عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لي ابن عباسﷺ:ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قال: بلى.قال:هذه المرأة السوداء أتت النبي فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال:"إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك". فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها".([2])

وقال رسول الله . ﷺ -:يقول الله تعالى: "إذا ابتليت عبدي في كريمتيه يعنى عينيه فصبر عوضته عنهما الجنة"

بنى الله للأخيار بيتا سماؤه**هموم وأحزان وحيطانه الضر

---

[1]) البخاري.

[2]) البخاري.

وأدخلهم فيه وأغلق بابه **وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

10. هم المنتفعون بآيات الله:

قال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }إبراهيم:5.

وقال تعالى{إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} الشورى:33.

**<u>أنواع الصبر:</u> الصبر نوعان:

أولا:صبر على الضراء: وهو الذي فيه الجزاء الأوفى، والنعيم الأبقى، والسعادة الدائمة مثل صبر سيدنا أيوب عليه السلام على المرض، وصبر سيدنا يونس في بطن الحوت، وصبر سيدنا إبراهيم على كفر قومه، وصبر سيدنا موسى على بني إسرائيل، وصبر سيد المرسلين محمد بن عبد الله تاج الرسل أجمعين على إيذاء قومه له بالقول، والضرب، وإلقاء القاذورات عليه، وطرده من داره، ووطنه، وصبر السيدة آسيا بنت مزاحم زوجته فرعون عليه من الله ما يستحق عندما أعلنت التوحيد والإيمان بنبي الله موسى فما كان منه إلا أن قيد يديها، ورجليها، وألقاها في الشمس، ومنع عنها الطعام، والشراب، فصبرت وقالت:{ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}التحريم:11.

لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها في الجنة من درة بيضاء مجوفة فضحكت وهى في أوتادها تعذب حتى قالوا: هذه مجنونة تعذب وتضحك يقول الضحاك: فأمر فرعون بحجر فألقى عليها وهى في أوتادها

فما وصل الحجر إليها حتى أخذ الله روحها قبل ذلك فصارت مثلا للذين أمنوا".([1])

فاصبر لكل مصيبة وتجلد *****واعلم بأن المرء غير مخلد

واصبر كما صبر الكرام فإنها**نوب تنوب اليوم تكشف في غد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة ***هذا سبيل لست عنه بأوحد

فإذا ذكرت مصيبة ومصابها******فاذكر مصابك بالنبي محمد

ثانيا:الصبر على الطاعة: مثل الصبر على الوضوء بالماء البارد في الشتاء القارص وصلاة الفجر وقيام رمضان وصيامه في حر الصيف القائظ، والصبر على الجهاد بما فيه من تعب، ومشقة، والصبر على الحج الذي فيه دفاع للمال وإتعاب للبدن.

*****

المبحث التاسع: فضل الرضا والقناعة:

الحمد لله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ..أما بعد:

إن القناعة، والرضا هما سر سعادة الإنسان في الحياة وعنوان نجاته في أخراه فالله إذا أراد بعبد خيرا ألزمه القناعة والرضا فيكتفي بالقليل ويكتسب العفاف ولن يلقى عبد ربه يوم القيامة بعمل هو أحب إليه من القناعة والرضا لأنهما ثمرة المحبة، وأعلى درجات الإيمان قال تعالى:{رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}المائدة:119.، فما أحسن التسليم عند نزول القضاء وثواب ذلك عند الله عظيم لأن العبد إذا سلم، وقنع، ورضي بما إرادة الله له كفاه، وأرضاه، وانعم عليه، واتته الدنيا راغمة، وأثابه الله في الآخرة.

---

[1]) أختاه هل تريدين السعادة للشيخ على القرني أطال الله في عمرة وأحسن له الخاتمة.

obeikandl.com

سمع سفيان الثوري رجلا يقول: اللهم ارض عنى. فقال له: يا هذا لو رضيت عن الله لرضي عنك قال الرجل كيف أرضي عن الله يا سيدي؟ قال: يوم تسر بالنقمة سرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله. قال أبو معاوية الأسود في قوله تعالى {فلنحيينه حياة طيبة} **الرضا والقناعة، الآية من سورة النحل رقم97.**

<u>وللقناعة والرضا فضائل جمة منها:</u>

1. الراضون هم حزب الله:

قال تعالى:{أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } **المجادلة:22.**

قال أحد العلماء: استغن عمن شئت تكن نظيرة، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وقليل يغنيك خير من كثير يطغيك.

قال ابن مسعود ﷺ: منذ أربعين سنه ما أكرمني الله في حال إلا وأنا راض عنه، ووالله ما بكيت على شيء حدث لي في الدنيا ابكي فقط على فوات الدين.

فليرضي عنى الناس أو فليسخطوا.....أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

أنا لست أخشى من لقاء جهنم.....وعذابها لكنني أخشاكا

أخشى من العرض الرهيب عليك..... وأخشى منك إذ ألقاكا

قال الحسن: من رضي بما قسم له وسعه وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يسعه، ولم يبارك له فيه.

2. الرضا يريح القلب:

قال ابن القيم:الرضا باب الله الأعظم ومستراح العابدين وجنة الدنيا.

قال المدائنى: رأيت امرأة في البادية لم أر جلدا أنضر منها ولا وجها أحسن منها فقلت: تالله إنّ الذي فعل هذا بك من الاعتدال، والسرور فقالت: كلا

والله لي هموم، وخلفي أحزان، وسأخبرك كان لي زوج، وكان لي منه ابنان فذبح أبوهما شاة يوم عيد الأضحى والصبيان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة؟ قال:نعم. .فذبحه فلما نظر إلى الدم جزع، ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه في طلبه فتاه فمات عطشا فأفردني الدهر. .

والله يقول في الحديث القدسي: "فوعزتي إن رضيت بما قسمته لك أرجت قلبك وكنت عندي محمودا".

نظر على بن أبى طالب ﷺ إلى عدى بن حاتم ﷺ كئيبا، فقال: يا عدى من رضي بقضاء الله جرى عليه، وكان له به أجر، ومن لم يرضي بقضاء الله جرى عليه، وحبط عمله.

قال علقمة في قوله تعالى:{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**التغابن:11**.

قال:هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من الله فيسلم لها، ويرضي.

قال ابن مسعودﷺ: إن الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين، والرضا، وجعل الهم، والحزن في الشك، والسخط.

دخل أبو الدرداءﷺ على رجل يموت وهو يقول:الحمد لله.فقال أبو الدرداءﷺ أصبت إن الله عز وجل إذا قضى قضاء أحب أن يرضي به.

ويحمى الإنسان من أمراض الضغط والقلب والسكري ووجع الأسنان وقرحة المعدة وغيرها والتي يكون سببها الهم والحزن الناتج عن عدم الرضا.

3. تذيق حلاوة الإيمان:

obeikandi.com

قال النبي . ﷺ .: "ذاق حلاوة الأيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد . ﷺ . رسولا".([1])

ومن ذاق حلاوة الإيمان هانت عليه الدنيا والأحزان.

أصبح أعرابي وقد ماتت له ابل كثيرة فقال:

لا والذي أنا عبد في عبادة.....لولا شماتة أعداء ذوى إحنِ

ما سرني أن إبلي في مباركها.....وأن شيئا قضاه الله لم يكن.

4. سببا في مغفرة الذنوب:

قال رسول الله . ﷺ .: "من قال حين يسمع النداء رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا غفرت ذنوبه".([2])

قال أحد العلماء: لن يرى في الآخرة أرفع من درجات الراضين عن الله تعالى على كل حال فمن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات.

5. إن البلاء يظهر معادن الرجال ولذلك نجد الأنبياء أشد الناس بلاءا

*****

المبحث العاشر: فضل العفو: .

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ ..أما بعد:

خلق بناء يرسى قواعد الوحدة، ويشيد شوامخ القوة، ويرفع شارات العزة، ولا عجب، فإنّ كظم الغيظ عنوان الإيمان وإن العفو ثمرة الجهاد وإن الصفح والتسامح رسل الأمان قال تعالى:{ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }البقرة:237.

العفو له الكثير من الفضائل منها:

---

[1]) مسلم.

[2]) مسلم.

1. أنه أمر الله لنبيه:

قال تعالى {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }الأعراف:199.

فقال جبريل لرسول الله . ﷺ ـ لما نزلت هذه الآية: "إن الله أمرك أن تعفو عن من ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك".

غضب كعب بن زهير على أخيه بجير حين أسلم وكتب إليه يلومه فأعلم جبير النبي . ﷺ ـ فقال: "من لقي كعب بن زهير فليقتله"فكتب بجير يخبره أن رسول الله . ﷺ ـ قد أهدر دمه فإن كان لك في نفسك حاجة فصر إليه فإنه يقبل من جاءه تائبا ولا يطالبه بما عمله قبل الإسلام فلما بلغ الكتاب كعبا فر هاربا إلى قبيلته لتجيره من النبي فأبت عليه ذلك، فأشفق على نفسه، وارجف به أعداءه فقدم المدينة، ونزل على علىّ بن أبى طالب ﷺ فأتى به المسجد فقال:هذا رسول الله . ﷺ. فقم إليه واستأمنه، فسمع كلامه، وقام إليه حتى جلس بين يديه، فوضع يده في يده قائلا:يا رسول الله إنّ كعب بن زهير قد جاء يستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ذلك إن أنا جئتك به؟ فقال الرسول نعم.فقال كعب: أنا يا رسول الله كعب فقال الرسول . ﷺ ـ: الذى يقول ما يقول.فوثب إليه رجل من الانصهار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه؟ فقال رسول الله . ﷺ ـ:" قد جاءنا تائبا نازعا. وانشد كعب رسول الله . ﷺ. يمدحه فيها وعفا عنه رسول الله.

2. مغفرة الذنوب:

يقول الله تعالى: {وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}النور:22.

وقد نزلت هذه الآية عندما حلف أبو بكر ﷺألا ينفق على مِسْطَح بن أثاثةﷺلأنه من الذين اشتركوا في إشاعة خبر الإفك عن عائشة رضي الله

عنها، وقد كان الحلف عقوبة من الصديق لمسطح، فأرشد الله إلى العفو بقوله:{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا}

ثم ألمح الله في آخر الآية إلى أن من يعفو عمن يسيء إليه فإن الله يعفو عنه:{أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}.

وقد ورد عن الصديق ﷺأنه قال: "بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديًا يوم القيامة فينادي: مَن كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس".

3. من شيم الكرام:

إن الذي يجود بالعفو عبد كرمت عليه نفسه، وعلت همته وعظم حلمه وصبره، قال معاوية ﷺ: "عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال".

ولما أُتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث في وقت الفتنة قال عبد الملك لرجاء بن حيوة: ماذا ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم.

إن العفو هو خلق الأقوياء الذين إذا قدروا وأمكنهم الله ممن أساء إليهم عفوا.

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب الانتصار من الظالم لقوله تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} قال النخعي: كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا.

قدم ثلاثة من الشباب ممسكين برجل أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقالوا: يا أمير المؤمنين هذا الرجل قتل أبانا واعترف ولكنه طلب إمهاله ثلاثة أيام يخبر أبناءه بمال مدفون لا يعلمه إلا هو فقال عمر: هل من رجل يضمنه فقال أبو ذر:أنا أضمنه يا رسول الله. فقال له عمر: أتدرى يا أبا ذر معنى كلامك إن لم يحضر

لأقتلنك به قال أبو ذر: أعلم يا أمير المؤمنين وذهب الرجل وقاربت الثلاثة أيام على الانتهاء، وانتهت، ولم يحضر الرجل، فأرسل عمر إلى أبى ذر الذي ضمن الرجل، ولم يحضر الرجل ليقيم عليه الحد، وفي اللحظة الأخيرة قدم الرجل، وعليه غبار الطريق، وإجهاد السفر فقال له: عمر:لِمَ حضرت وقد كان بإمكانك أن تهرب؟ فقال: خوفا من أن يقال: ذهب الوفاء بالوعد. فقال عمر رضي الله عنه لأبى ذر رضي الله عنه: وأنت لماذا ضمنته ولم تعرفه ؟ فقال: خوفا أن يقال ذهب أهل المروءة والكرم.

فقال أبناء القتيل: ونحن عفونا عنه وتسامحنا حتى لا يقال ذهب أهل العفو.

أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار بن أبى عبيدة وأمر بضرب عنقه فقال الأمير: ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنه فأتعلق بأطرافك وأقول: يا رب سل مصعبا فيما قتلني؟ فقال:الأمير أطلقوه فقال: يا أيها الأمير اجعل ما وهب لي من عمر في خفض. فقال: أعطوا مائه ألف درهم فقال: بأبي أنت وأمي أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها النصف لقوله:

مصعب شهاب من الله** تجلت عنه وجهه الظلمات.

، فضحك مصعب وقال: لقد خطلت وإن فيك موضعا للضيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس بخمسين ألف درهم قال تعالى:{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}

دعا هارون الرشيد غلاما له وقال: ائتني بالماء لأتوضأ فذهب الغلام، وأتى بالماء، ولسرعته، وخشيته من الأمير وقع منه الإناء، فانكسر، فغضب، وأراد معاقبة الغلام ولكن الغلام قال:لأمير المؤمنين يقول الله تعالى:{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} قال هارون الرشيد: كظمت

غيظي ثم قال الغلام:{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}قال له: عفوت عنك قال الغلام{وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}أعتقتك لوجه الله.

قالت قارية لأبى الدرداءﷺ: إني سممتك منذ سنه فما عمل السم فيك شيئا فقال: لم فعلتي ذلك ؟ قالت: أردت الراحة منك فقال:اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

4. العفو يورث صاحبه العزة

بعض الناس قد يزهد في العفو لظنه أنه يورثه الذلة والمهانة فقد أتى النص القاطع يبين أن العفو يرفع صاحبه ويكون سبب عزته. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ.: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله".([1])

وأولى الناس بعفوك الضعفاء من الزوجات والأولاد والخدم ومن على شاكلتهم، ولهذا لما بيَّن الله أن من الأزواج والأولاد من يكون فتنة قال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**التغابن:14**.

فالإنسان من عادته أن يكون البادئ بالإحسان لزوجه وأولاده، فإذا وجد فيهم إساءة آلمته جدًّا فلربما اشتد غضبه وصعب عليه أن يعفو ويصفح لأنه يعتبر إساءة الأهل حينئذ نوعًا من الجحود ونكران الجميل، لهذا احتاج إلى توجيه إرشاد خاص إليه بأن يعفو ويصفح حتى يستحق من الله المغفرة والعفو والصفح.

---

[1]) **مسلم.**

obeikandi.com

أما الخدم ومن على شاكلتهم فقد سئل عنهم النبي ﷺ.: كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: "اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة".([1])

إذا ما الذنب وافى باعتذار.....فقابله بعفو وابتسام

5. يقرب الإنسان من تقوى الله والتي هي باب النجاة ومفتاح القبول:

قال تعالى:{وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }البقرة:237.

6. سببا في دخول الجنة:

قال تعالى:{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ{133} الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}آل عمران.

وعن أنس بن مالك ﷺقال: بينا رسول الله ـ ﷺ ـ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه. فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء قال: يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله ـ ﷺ ـ بالبكاء، ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم.([2])

قال الحسن رحمه الله تعالى: رحم الله عبدا وقف عن همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر:"اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين."

قال محمود الوراق:

---

[1]) صحيح سنن أبي داود برقم(5164)

[2]) ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب برقم(1469)

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب.....وإن كثرت منه علي الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة.....شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره.....وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإني قد صنت عن.....إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا.....تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

*****

المبحث الحادي عشر: فضل محاسبة النفس: ـ

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ..أما بعد:

اتفق السالكون إلى على اختلاف طرقهم، وتبيان سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها وتركها بمخالفتها والظفر بها. فالناس على قسمين: قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أمرها، وقسم ظفروا بأنفسهم فقهروها فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم.

وقد انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ومن ظفرت به نفسه خاب وخسر قال تعالى:{فَأَمَّا مَن طَغَى{37} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا{38} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى{39} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى{40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى{41}النازعات:**4137**.

قال الحسن:رحم الله عبدا وقف عن همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر.

والنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يدعو إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى، والقلب بين الداعين يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا

الداعي مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء، وقد وصف الله تعالى النفس في القرآن بثلاث صفات المطمئنة واللوامة والأمارة.

وليس هنا مجال الحديث عن أنواع النفس وأحوالها وإنما عن فضائل محاسبة النفس والمحاسبة نوعان نوع: قبل العمل ونوع محاسبة النفس بعد العمل ولنعلم جميعا أن محاسبة النفس من أعظم الأمور المعينة على الطاعة المنهية عن المعصية المساعدة على التوبة الكافة عن الذنوب.

ولمحاسبة النفس فضائل عده منها:ـ

1. معرفة حق الله تعالى:

فإن من حقه تعالى أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر. فمحاسبة النفس هي نظر العبد في حق الله تعالى عليه أولا، ثم نظره هل قام به كما ينبغي، وأفضل الفكر الفكر في ذلك وأفصل المحاسبة في ذلك.

2. الإطلاع على عيوبها ليتمكن من إزالتها:

كان أبو الدرداءﷺ يقول:لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا منه للناس. ([1])

وقال أبو حفص النيسابورى: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكرهها في سائر أوقاته كان مغرورا، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها. ([2])

وكان عامر بن عبد الله التميمي راهب هذه الأمة كان يصلى كل يوم ألف ركعة وفي يوم من الأيام وجد رجله قد تورمت من القيام فأخذ يقول لنفسه

---

[1]) الزهد للإمام احمد (ص 167)

[2]) صفوة الصفوة(73/3)

obeikandl.com

مخاطبا إياها: يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت يوشك أن يذهب العناء ثم يقول لها: يا مأوى كل سوء فوعزة ربك لأزحفن بك زحف البعير.([1])

قال مالك بن دينار:رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم زمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائد"

3. تخفف حساب الآخرة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي . ﷺ .: "من نوقش الحساب عذب فقالت: يا رسول الله ألم يقل الله{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} الانشقاق:7. قال رسول الله . ﷺ .: ليس ذلك الحساب إنما ذلك هو العرض".([2])

قال الحسن رحمه الله تعالى: رحم الله عبدا وقف عن همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فإنّه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية".([3])

وقال الحسن البصري: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك من حاجتي، ولكن والله ما حيلة إليك، هيهات هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا والله لا أعود إلى هذا أبدا إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن، وحال بين هلكتهم، إن المؤمن

---

[1]) صفوة الصفوة(153/3)

[2]) البخاري فتح(97/1)

[3]) الترمذي.

obeikandi.com

أسير في الدنيا يسعه في فكاك رقبته، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه، وفي بصره، وفي لسانه وفي جوارحه، ومأخوذ عليه في ذلك كله"

*****

المبحث الثاني عشر:فضل الحلم:

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ..أما بعد:

تتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات فمنهم من تستخفه التوافه فيستحمق على عجل ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظاً برجاحة فكره وسماحة خلقه.ومع أن للطباع الأصيلة في النفس دخلاً كبيراً في أنصبة الناس من الحدة، والهدوء، والعجلة، والأناة، والكدر، والنقاء، إلا أن هناك ارتباطاً مؤكداً بين ثقة المرء بنفسه، وبين أناته مع الآخرين، وتجاوزه عن خطئهم، فالرجل العظيم حقاً كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره وامتد حلمه وعذر الناس من أنفسهم والتمس المبررات لأغلاطهم، فإذا عدا عليه غر يريد تجريحه نظر إليه من قمته فسبق حلمه غضبه، وغلب صفحه وعفوه انتقامه لنفسه، وكظم غيظه ممتثلاً أمر ربه في قوله: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}آل عمران:134.

والحلم: هو الأناة والتثبت في الأمر، وضبط النفس وكظم الغيظ.

فالحليم هو الذي لا يستفزه الغضب، ولا يتسرع بالعقوبة، بل يتريث، ويتصرف على وفق مقتضيات الحكمة.

والحلم خلق محمود شرعًا وعقلاً، فالعقل السليم يدرك خطر الاندفاع وراء العواطف والغرائز، أو وراء الانفعالات والشهوات، أو وراء كل ما يميل

بصاحبه نحو الجنوح والانحراف. كما أنه يعلم فضيلة التأني والتريث، وضبط النفس وعدم العجلة، وما وراء ذلك من منافع جمة، ومقاصد مهمة.

وأما في الشرع، فيكفي الحلم فضيلة أن يتصف الله تعالى به ويتسمى به، فالحلم اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته العلا.

من فضائل الحلم:

1. صفة من صفات الله:

فهو الحليم بعباده، {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً}الأحزاب:5. ، ومعناه: الصبور الذي لا يستخفه عصيان العصاة، ولا يستفزه الغضب عليهم فيعجل بالانتقام منهم، ولكن يفسح لهم باب التوبة والندم، أو يمهلهم ليقيم عليهم الحجة، فإذا أخذهم أخذهم، بحق وحكمة، أخذ عزيز مقتدر:" إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته".([1])

2. صفة رسول الله . ﷺ.:

وقد امتدح الله رسوله . ﷺ. على كل أخلاقه، ومنها الحلم الذي كان شامة في أخلاقه . ﷺ.. بل كان من أشهر كان من صفاته . ﷺ. الحلم ، وكان ينهى عن الغضب ويقول . ﷺ.:" ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.([2])

روى البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: بينا نحن في المسجد مع رسول الله . ﷺ. إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله . ﷺ.: مه، مه، فقال رسول الله . ﷺ.: "لا تزرموه (أي لا تقطعوا عليه بوله)، دعوه " قال أنس: فتركوه حتى بال، ثم إن رسول . ﷺ. دعاه فقال له: " إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله والصلاة

---

[1])صحيح الجامع برقم(1128)

[2]) البخاري.

وقراءة القرآن ". قال أنس: وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فسنَّه (أي فصبه)عليه.

وروى الشيخان أيضًا من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله . ﷺ . يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله عليهم، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ".

فأي شفقة وأي عفو وصفح وحلم يضاهي هذا الحلم إلا حلمه هو نفسه عمن آذوه في ثقيف، فعرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين فقال:" بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا".([1])

أو حلمه العظيم حين مكنه الله من قريش فعفا وصفح ولم يثرِّب، بل قال قولته المشهورة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"

واستقصاء مواقف حلمه تستعصي على المستقصى، وفي مواقف أصحابه وأتباعه بعض إشارة لهذا الجانب من جوانب أخلاقه . ﷺ . ، إذ منه تعلَّموا وعلى يديه تربوا.

قال معاوية يومًا لابنه: يا بني من عفا ساد، ومن حلم عظُم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب.

وقد كان معاوية ﷺ يعرف بالحلم، وله فيه أخبار مشهورة، وآثار مذكورة، وكان يقول: إني لآنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جودي.. وهذا مروءة عالية المرتبة.

---

[1]) **متفق عليه.**

obeikandl.com

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا، فلما صار بين يديه قال له: رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله. فعفا عنه وأمر له بصلة.

قال الحسن البصري: إن أفضل رداءٍ تردى به الإنسان الحلم، وهو والله عليك أحسن من برد الحبر.

3. يورث صاحبه الجنة:

عن معاذ بن جبل عن أنسﷺ عن النبي . ﷺ :"من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من أي الحور شاء".

وليس معنى الحلم التباطؤ والكسل، وإنما هو وسط بين طرفين، وفضيلة بين رذيلتين، فإذا زاد عن حدُّه كان توانيًا وإهمالاً أو تبلُّدَ طبع، وانعدامه أو ضعفه عجلة وطيش وسرعة غضب، والأصل هو القصد والاعتدال.

*****

المبحث الثالث عشر: فضل الورع:ـ

الحمد لله،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ ..أما بعد:

فالورع: ترك ما يريبك ونفي ما يعيبك والأخذ بالأوثق وحمل النفس على الأحوط. والورع اجتناب الشبهات ومراقبة الخطوات.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في الورع: "عما قد تخاف عاقبته وهو ما يعلم تحريمه وما يشك في تحريمه وليس في تركه مفسده أعظم من

فعله فهذا قيض مهم في الأشياء المشكوك فيها وكذلك الاحتيال بفعل ما يشك في وجوبه لكف على هذا الوجه".([1])

وعرف ابن القيم رحمه الله الورع بقوله: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة".([2])

ومن منازل: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**الفاتحة:5**.

وقد قال الله سبحانه وتعالى:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}**المؤمنون:51**.

وقال عز وجل:"{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}**المدثر:4**. أي نفسك فطهر من الذنب فكنى عن النفس بالثوب، وهذا قول جماعة من المحققين من أهل التفسير.

كما قال غيلان الثقفي: "وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدوة أتقنع".([3])

ولا ريب أن تطهير النفس من النجاسات وتطهيرها من جملة التطهير المأمورية إذ به تمام إصلاح الأعمال والأخلاق، والمقصود أن الورع يطهر دنس القلب ونجاسته كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته، وبين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة.

وقال بعضهم: كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في الحرام".([4])

وقال إبراهيم: الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك وترك الفضلات أي الأشياء والزائد.

---

[1]) مجمع الفتاوى (10/ 512)

[2]) الفوائد لابن القيم(118)

[3]) ابن عبد البر في التمهيد (22/ 239).

[4]) ابن رجب في جامع العلوم الحكم.

oberkandi.com

والورع كلما أخذ به الإنسان كان أسرع جوازا على الصراط واخف ظهرا، والتفاوت في الآخرة بحسب التفاوت في درجات الورع. وهو تجنب القبائح لصدق النفس وتوفير الحسنات وصيانة الإيمان، وكذلك البعد عن حدود الله سبحانه وتعالى، وكذلك فان الإنسان المسلم ينتبه من الاقتراب من حدود الله، لان الاقتراب منها يوشك أن يوقعه فيها ويجعله يقتحمها{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا} البقرة:187.وقال تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تعتدوها}البقرة:229.

والحدود قد يراد بها وافر الحلال حيث نهى عن القربان، والحدود من جهة أخرى قد يراد بها أوائل الحلال، والحرام، فلا تتعدوا ما أباح لكم ولا تقربوا ما حرم الله عليكم فالورع يخلص العبد من قربان هذه وتعدى هذه، وهو اقتحام الحدود، فمجاوزة الحد في الحلال يمكن أن يوقعه في الحرام الشديد.

والإنسان المسلم عليه أن يتورع في الجوانب التي يكون الانشغال فيها قد يؤدى الولوغ في المهالك سواء" في النظر، أو في السمع، أو في الشم، أو في اللسان، أو في البطن، أو في الفرج، أو في اليد، أو في الرجل، أو في السعي، أو.....وهكذا. والنبي . ﷺ. قد علمنا الورع فقال: " الإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك عنه الناس".([1])

وقال النبي . ﷺ .: " إنك لن تدع شيئا لله عز وجل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه".([2])

وجاء عن عبد الله بن عمرو أن قال: " أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ الأمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمه".([3])

---

[1]) صحيح الجامع (2880).

[2]) رواه احمد(5/ 363)

[3]) احمد في المسند(2: 177).

وفي الحديث العظيم أن النبي . ﷺ ـ قال: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشبهات لا يعلمها كثير من الناس " وفي رواية " وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى إلا أن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب".([1])

وللورع فضائل منها:

1. والورع أفضل العبادة:

قال رسول الله . ﷺ .:" كن ورعاً تكن أعبد الناس".([2])

وفي حديث آخر يقول النبي . ﷺ .:"فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع ".([3])

الدين مراتب، أعلى هذه المراتب الورع، وقد جمع النبي . ﷺ. الورع كله في كلمة واحدة فقال:"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".([4])

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة".([5])

2. سبب في استجابة الدعاء:

يقول إبراهيم بن ادهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل في جوفه ".

---

[1]) البخاري(14) ومسلم(1599)

[2]) ابن ماجة بسند صحيح.

[3]) صحيح الجامع برقم(4214)

[4]) صحيح الجامع (5911)

[5]) ذكر مثله ألمنذري في الترغيب والترهيب مرفوعا عن ابن عمر بلفظ :" أفضل الدين الورع.

obeikandl.com

أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، كيف يكون الطعام طيباً؟ إذا اشتريته بمال حلال، وكيف يكون المال حلالاً ؟ إذا كسبته بطريقة مشروعة.

يقول التَستري: ترك دانق(ما يعادل الدرهم) من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام".

3 – رأس الحكمة:

يقول الحسن البصري: يؤتي الحكمة من يشاء، أي الورع.

سئل أحد العلماء:ما تقول في الورع ؟ قال: رأس الأمر كله.

4. سبب في القرب من الله:

نقل عن السيد المسيح ما معناه: لو صليتم حتى تصيروا مثل الحنايا، وصمتم حتى تكونوا أمثال الأوتاد، وجرى من أعينكم الدموع أمثال الأنهار، ما أدركتم ما عند الله إلا بالورع"

وقال بعض العلماء، وقد سأله أحدهم، قائلا له:عظني، فأخذ حصاة من الأرض، فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدني، قال: كما تحب أن يكون الله لك غداً كن له اليوم ".

5. يمنع الإنسان من أكل الحرام:

أخذ الحسن ﷺ تمرة من الصدقة، وكان صغيراً، فقال النبي . ﷺ .: كَخ كخ، ألقها".([1])

طفل غير مكلف، واشتهى تمرة، لكن النبي . ﷺ . أدّبه بأدب الإسلام، هذا من مال الصدقة، ويروى أن النبي . ﷺ . وجد تمرة على سريره، فقال:" يا عائشة، لولا أني أخاف أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها".

[1]) البخاري.

قد يأتيه طبق من تمر الصدقة، وقعت منه هذه التمرة، فقال:" لولا أني أخاف أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها ".([1])

من هذا الورع امتنع الإمام أبو حنيفة عن أن يستظل بظل بيت مرهون عنده.

من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله."لأَعلمن أَقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أَمثال جبال تِهامة بيضا، فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا، قَال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جلهِم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قَال: أما إنَّهم إِخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليلِ كما تأخذون، ولكنهم أَقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها".([2])

وكذلك فإن أبا بكر الصديق ﷺ بلغ من ورعه في تلك ألقصه العظيمة التي رواها البخاري وهو أفضل الورعين بعد النبي ﷺ. أنه كان له غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر. فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته؟ فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه، فادخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه".([3]).

6. اتقاء عذاب الرحمن: وتحقيق راحة البال للمؤمن وطمأنينة النفس وهذه حاله مهمة جدا.

7. يبعد عن إشغال الوقت فيما لا يفيد.

---

[1]) **متفق عليه.**

[2]) **صحيح الجامع(5028)**

[3]) **البخاري (3842)**

8. يجلب محبة الله لأن الله يحب المتورعين.

7. سبب في استجابة الدعاء:لأن الإنسان إذا طهر مطعمه، ومشربه، وتورع يرفع يديه فيجاب له الدعاء.

8. يتفاوت الناس في الدرجات في الجنة بتفاوتهم في الورع.

** مراتب الورع:

قسم بعض العلماء الورع إلى ثلاثة مراتب فقالوا:

1. واجب: وهو الإحجام عن المحرمات وهذا على الناس كافة.

2ـ ورع مندوب: وهو الوقوف عن الشبهات وهذا ما يفعله عدد قليل من الناس.

3ـ الكف عن كثير من المباحات، والاقتصار على اقل الضرورات: وذلك للنبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين.

**خلاصة القول الورع:

أهم شيء ورع المال، الورع كله يلخص بكلمة واحدة: يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.، وأشد أنواع الورع في الدخل، حرر دخلك من الحرام، والمعاصي كلها تنصب في حقلين، معاصي كسب المال، ومعاصي النساء. ، فكل الورع في هاتين الحقلين، فكن عفيفاً، ولا تنظر إلى الحرام نظرة ريبة، وكن ورعاً في كسب المال، والله عز وجل يكافئ الورع مكافآت كبيرة جداً، وهو أساس الدين الورع.

*****

المبحث الرابع عشر: فضل الاستقامة:ـ

الحمد لله.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . ﷺ ..أما بعد:

لما كانت الاستقامة من الدين بمكان، وأنها ليست كلمة تقال وتنتهي في لحظة بل هي عمل دائب ومتواصل طوال العمر لذلك لا يداوم عليها إلا مسلم حقيق الإسلام والإيمان أردت أن أخصها بشيء من التفصيل والتوضيح والبيان:فإنَّ الاستقامة على أَمر الله غاية جليلة، وَهدف في هذه

الحياة ينبغي لكل مسلم أن يسعى إليه، فإنَّ من رحمة الله أنّه يأمرنا بالأمر ويبيِّن لنا كيفية الامتثال به.

فيقول الله تعالى:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ{112} وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}**هود:112، 113**.

هذا الأمر مرتب على ما قبله:{وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**هود:111**.

كلٌ سَيُوَفي عَمَلَهُ، الأخيار والأشرار.

إذًا: فهذا يقتضي أن يأخذ الإنسان بسبب السعادة والفلاح، كل سَيُوَفي عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فمن أراد لنفسه النجاة، فهذا هو سبيلها، وهي الاستقامة على أمر الله وهي طريق السعادة والفلاح والفوز.

وقوله تعالى:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} **هود:112**.الأمر هنا للنبي . ﷺ. أولاً ثم لأتباعه{وَمَن تَابَ مَعَكَ}

أي:ومن آمن معك بأن تابوا من الشرك فأمنوا بالله ورسوله وصاروا مع النبي . ﷺ. مؤمنين به وبما جاء به.

الاستقامة: ضد الاعوجاج والانحراف فالشَّيء المستقيم هو المعتدل الذي لا اعوجاج فيه، وهذا يأتي في الحسيات، تقول: هذا طريق مستقيم و هذا طريق مُعْوَجٌّ.

الاستقامة تتضمن في الشرع أمرين:

1-السير على الطريق. 2- الاستمرار والثبات عليه حتى الممات.

فالأول: السير على الطريق:

وهذا المعنى يفسره قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}آل **عمران:102**.

اتقوه حق التقوى بحسب الاستطاعة، قال تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}التغابن:16.

والثاني:الاستمرار والثبات عليه حتى الممات:وذلك في قوله تعالى:{وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}آل عمران:102. فهذا يتضمن الأمر بالدوام والاستمرار.

والمعنى: استقيموا واثبتوا على التقوى حتى يأتيكم الموت وأنتم على ذلك، كما في الحديث الصحيح: "من أَحب أَن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بِالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أَن يؤتى إليه".([1])

الاستقامة: التي أمر الله بها نبيه والمؤمنين، كما في الآية المتقدمة وهي وصية النبي للذي قال له: "قل لي في الإسلام قولا لا أَسأَل عنه أَحدًا بعدك؟ قال: قُل آمنت بالله ثم استقم".([2])

أسباب الاستقامة

1 – صحة الإيمان واليقين:

لأن الانحراف والفتور والتراجع ينشأ عن ضعف اليقين، كلما كان الإيمان أقوى كلما تحققت الاستقامة، وتكاملت، وتمت، قال تعالى:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقّ} الروم:60.

فاليقين يحمل على الصبر، والصبر هو قاعدة الاستقامة، فكل من الصبر واليقين عماد للاستقامة.

فالاستقامة والسير على الطريق، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي تفتقر إلى اليقين والصبر.

---

[1]) أحمد في المسند(2/ 191) ومسلم.

[2]) مسلم .

فما يُؤْتَى الإنسان إلا من ضعف إيمانه، ومن ضعف يقينه، ومن ضعف صبره.

2 – التبصر بالدين:

والعلم بما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة والتبصر فيهما، التدبر لهما، تدبر القرآن يُورِث معرفة بما أمر الله به وبما نهى عنه، وفي القرآن الترغيب والترهيب والوعد والوعيد.

فالعلم بهذه النصوص واستشعارها واستحضارها من أسباب الاستقامة، أن تَعْلَم أن الله أمرك، أن تعلم عاقبة الطاعة، وعاقبة المعصية وعاقبة تركها، فالعلم بذلك واستشعاره من أسباب الطاعة.

الانحراف إما أن يكون لعدم العلم أو لعدم اليقين، وعدم الإيمان التام، ولهذا قال . ﷺ.: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن".([1])

الزاني المسلم ما يكفر بزناه، لكنه يفتقد الإيمان الوازع، فالزاني ما زنى والشارب ما شرب والسارق ما سرق إلا عندما زال عنه الإيمان الرادع، الذي يحمل على الكف، فقد يتوفر هذا الإيمان فتحصل الاستقامة باجتناب ما حَرَّمَ الله، وهكذا في المأمورات، فالإيمان هو الوازع، وهو يقوم على العلم

3– الدعاء:

فيسأل الإنسان ربه الثبات: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم أهدني الصراط المستقيم" فالدعاء الواجب والمستحب يتضمن سبب من أسباب الاستقامة. ومن الأدعية: "اللهم إنّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى".([2]) "اللهم أهدني وسددنِي".([3])

---

[1]) البخاري (2475)، ومسلم ((57))

[2]) مسلم (2721)

[3]) مسلم (2725)

openkanar.com

فسؤال الهداية، وسؤال الثبات، واستمداد العون من الله هي من أسباب الاستقامة: وقال رسول ﷺ لمعاذ: يا معاذ والله إني لأحبك أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". ([1])

فبدون هداية الله وعونه وتوفيقه لا يصل الإنسان إلى شيء، ولا يقوى على شيء، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

4- اختيار الصحبة الصالحة:

فالصحبة الصالحة الذين يذكرون الإنسان إذا نسي، ويأمرونه بما يجب عليه، وينكرون عليه إذا انحرف، ويعينونه إذا كَسُلَ، قال تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} **التوبة:71**.

المؤمن إن أصابه شيء احتسبه: قال النبي ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمنِ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له".([2])

وللاستقامة فضائل عديدة منها:

1. سبيل السعادة في الدنيا والآخرة:

المستقيمون في نعيم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة. كما قال ذلك ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}**الانفطار:13**.نعيم في الدنيا؛ بما يجعله الله في قلوبهم من السرور وقرة العين، والفرح بالإسلام، وبالإيمان وبالقرآن، وفي البرزخ يفتح للمؤمن المستقيم باب إلى الجنة فيأتيه

---

[1]) صحيح الجامع برقم(7969)

[2]) مسلم(2999)

من روحها وطيبها ويصير عليه قبره روضة من رياض الجنة، وفي الآخرة في جنات النعيم، في نعيم مقيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ{13}أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون} الأحقاف:13-14. فالله تعالى قد أثنى على أهل الاستقامة، ووعدهم بالأجر الجزيل.

وقال:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}فصلت:30.

قال الله تعالى:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ}.الأمر هنا للنبي ﷺ - أولا، ثم لأتباعه،{وَمَن تَابَ مَعَكَ}.أَيْ: ومن آمن معك؛ بأن تابوا من الشرك، فآمنوا بالله ورسوله، وصاروا مع النبي ﷺ - مؤمنين به، وبما جاء به.

2. مغفرة الله ورحمته وكرامته ورضوانه،

قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ{30} نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ{31} نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ{32}فصلت:30,32.

3. يُقَيِّض الله للمستقيم الملائكة في أصعب الأحوال، تطمئنهم في الدنيا:

وأيضًا تُقوي فيهم الثقة بالله، والتوكل عليه، وحُسن الظن به، لا حسن الظن الذي هو اغترار وأماني، إنما حسن الظن المبني على مجاهدة النفس، والجد، والاجتهاد في طاعة الله، فتنزل عليهم عند الموت وفي القبر، وتتلقاهم يوم القيامة ألا تخافوا ولا تحزنوا، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ{101} لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ

فِـي مَـا اشْـتَهَتْ أَنفُسُـهُمْ خَالِـدُونَ{102} لَا يَحْـزُنُهُمُ الْفَـزَعُ الْأَكْبَـرُ وَتَتَلَقَّـاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ{103} **الأنبياء:101-103**.

4. تأمن صاحبها يوم القيامة:

يـأتي المـؤمن يـوم القيامـة وهـو آمـن، والنـاس يخـافون ويفزعـون، قـال تعـالى:{أَفَمَن يُلْقَى فِـي النَّـارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَـأْتِي آمِنـاً يَوْمَ الْقِيَامَـةِ} **فصلت:40**. أمـن وهـدى، قـال تعـالى:{الَّـذِينَ آمَنُـواْ وَلَـمْ يَلْبِسُـواْ إِيمَـانَهُم بِظُلْـمٍ}.فـي الآيـة الأخـرى:{ إِنَّ الَّـذِينَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَـيْهِمُ الْمَلَائِكَـةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا} **فصلت:30**.

** ما تتحقق به الاستقامة

الأمـر الأول: أداء الفـرائض والواجبـات.وهـذه الفـرائض والواجبـات التـي فرضها الله على عباده على مراتب:

أولا: شـهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسـول الله . ﷺ .. فالتوحيد هو أوجب الواجبات، وأعظم الحسنات، وأفضل الطاعات، وهو أول ما أمر الله به عباده، وهو حقه عليهم، وهو مفتاح دعوة الرسل، وتحقيق ذلك بعبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدين له ويتبع ذلك تحقيق متابعة الرسول . ﷺ . فإن ذلك مقتضى الشهادتين.

ثانيًا: الصلوات الخمس: وهي قرينة التوحيد في الكتاب والسُّنَّة.

ثالثاً: الزكاة، والصيام، الحج، هذه أركان الإسلام.

رابعاً:الواجبات الأخرى كـ"الجهاد في سبيل الله، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحقوق العباد" كلها تدخل في الفرائض، فتكون مما يتحقق الاستقامة.

إذًا: الاستقامة إنما تتحقق بأداء حقوق الله، وحقوق العباد.

الأمر الثاني النوافل:ولاشك أنّ المحافظة على النوافل من كمال الاستقامة، ومن حكمة الله أن شرع لعباده نوافل الطاعات في جميع العبادات "الصلاة، الصدقة، الصيام، الحج" وسائر الطاعات التي فرضها الله على عباده، شرع من جنسها ما هو تطوع.

الأمر الثالث: اجتناب المحرمات. واجتناب المحرمات يكون بامتثال المأمورات، واجتناب المحظورات.

الرابع: ترك المكروهات وترك فضول المباحات. بعد ما علمنا أن حقيقة الاستقامة تشمل امتثال جميع المأمورات، واجتناب جميع المحرَّمات، ومن كمالها أداء النوافل، وهي أيضًا على مراتب في الفضل وفي التأكد، أيضًا من كمالها ترك المكروهات، وترك فضول المباحات. مستقيمين الاستقامة التي أمر الله بها، عندهم تفريط، وبهذا نعلم أن الاستقامة تتفاوت، ويتفاضل فيها أهلها.

الخامس: الاستمرار على طريق الاستقامة حتى الموت.

فمن المعلوم أن كثيراً من الناس ممن يسير على طريق طالباً لأمر يستطيل الطريق فلا يطيق السير وأضرب لهذا مثلاً في السير على الطريق الحسي فمن المعلوم قد ينطلق جَمْعٌ كثيرٌ من الناس للوصول إلى مطالب وحظوظ، فمنهم من يكون عنده صدق في الطلب، وعزم صادق، وعنده يقين بحصول المطلوب، وهو من مطالب الحياة، ومنهم من يكون ضعيف فيتقاعس، وربما رجع من الطريق، وربما سار ببطء، فمِن مفهوم الاستقامة التي أمرنا الله بها، وأثنى بها على المؤمنين الثبات والدوام إلى الممات، فالذي آمن، وسار على الطريق، ثم انحرف يمينًا، أو شمالا بإفراط، أو تفريط، أو رجع فما استقام، لابد لتحقق الاستقامة من الاستمرار؛ لأن من تراجع لا يصل

إلى مطلوبة، ولهذا أكد الله هذا بقوله:{ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، وفي الحديث، "فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر".

بما يشتمل عليه اسم الإيمان من الأفعال، أو الترك.

السادس: عدم الانحراف.

فنسأل الله لنا ولكم الاستقامة، والثبات على دينه، وأن يعصمنا وإياكم من مُضِلَّات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله.

*****

المبحث الخامس عشر: فضل الأمانة:ـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الأمانة: هي خلق جليل من أخلاق الإسلام، وأساس من أسسه، فهي فريضة عظيمة حملها الإنسان، بينما رفضت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها لعظمها وثقلها، يقول تعالى{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}**الأحزاب:72**. ..من اتصف بها نال خيري الدنيا والآخرة بإذن الله ولا يضره من خالفه، ومن تركها كان اشر الناس لا ينافسه في ذلك احد، إلا كافر، أو ملحد، وهى من ضروريات المروءة وتمام الأخلاق الكريمة وموجبات البعد عن النفاق، وهى إحدى ثلاث خصال تبنى عليها شخصية الإنسان الصالح والمؤمن الحق (الصدق، الأمانة، الوفاء) ونجد هنا أن الأمانة تتوسط هذه الثلاث خصال، وهم مترابطين مع بعضهما البعض، فمن اتصف بواحدة كان لزاما أن يكون متصفا بالأخرين، ومن ترك واحده فقد تركهم جميعا، فمن كان صادقا في أقواله وأفعاله كان أمينا في أقواله

وأفعاله، وكان وفيا أيضا في أقواله وأفعاله.. فالثلاث خصال هم أساس الحكم على الإنسان وهم أصل مكارم الأخلاق، والثلاثة يؤديان نفس المعنى (فالصدق أمانة ووفاء والأمانة صدق ووفاء والوفاء صدق وأمانة).

والأمانة كلمة واسعة المفهوم، يدخل فيها أنواع كثيرة، فمن هذه الأنواع الأمانة العظمى، وهي الدين والتمسك به، حيث قال تعالى:{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}**الأحزاب:72**. .

يقول القرطبي:الأمانة في الآية تعم جميع وظائف الدين.([1]) ويعتبر تبليغ هذا الدين أمانة أيضاً، فالرسل أمناء الله على وحيه كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ. قال:"ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء". ([2])

وكذلك كل من جاء بعدهم من العلماء والدعاة، فهم أمناء في تبليغ هذا الدين. وكل ما يأتي من أنواع يمكن دخولها في هذا النوع وكل ما أعطاك الله من نعمة فهي أمانة لديك يجب حفظها واستعمالها وفق ما أراد منك المؤتمن، وهو الله جل وعلا، فالبصر أمانة، والسمع أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، واللسان أمانة، والمال أمانة أيضاً، فلا ينفق إلا فيما يرضي الله والعِرض أمانة، فيجب عليك أن تحفظ عرضك ولا تضيعه، فتحفظ نفسك من الفاحشة، وكذلك كل من تحت يدك، وتحفظهم عن الوقوع فيها، قال أبي كعب رضي الله عنه: من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على حفظ فرجها. والولد أمانة، فحفظه أمانة، ورعايته أمانة، وتربيته أمانة.

---

[1]) **تفسير القرطبي (14 /253)**

[2]) **البخاري برقم(4351)**

obeikandl.com

والعمل الذي توكل به أمانة، وتضييعه خيانة، لما ثبت عن أبي هريرة ﷺ عنه قال:"إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال:" إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة".([1])

وقال . ﷺ. لأبي ذر لما سأله أن يوليه قال:"وإنها أمانة".([2])

والسر أمانة، وإفشاؤه خيانة، ولو حصل بينك وبين صاحبك خصام فهذا لا يدفعك لإفشاء سره، فإنه من لؤم الطباع، ودناءة النفوس، قال . ﷺ .:"إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة".([3])

إن من أشد الخيانة للأمانة إفشاء السر بين الزوجين، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عنه قال: قال:"إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها".([4])

والأمانة بمعنى الوديعة، وهذه يجب المحافظة عليها، ثم أداؤها كما كانت.

**أنواع الأمانة:

أ. الأمانة في العبادة:

فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي فروض الدين كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة والصيام وبر الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها بأمانة لله رب العالمين.

وعكسها الخيانة وقد حذر الله منها فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}**الأنفال:27**.

وخيانة الله معناها:ترك أوامره.. فأوامر الله في أعناقنا.

---

[1]) **البخاري برقم(6496)**

[2]) **مسلم برقم(1825)**

[3]) **حسن أبي داود برقم 4868 والترمذي برقم(1959)**

[4]) **مسلم برقم(1437)**

obeikandl.com

وخيانة الرسول: معناها عدم العمل بسنته.

ب . الأمانة في حفظ الجوارح:

وعلى المسلم أن يعلم أن الجوارح والأعضاء كلها أمانات، يجب عليه أن يحافظ عليها، ولا يستعملها فيما يغضب الله سبحانه؛ فالعين أمانة يجب عليه أن يغضها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنِّبَها سماع الحرام، واليد أمانة، والرجل أمانة، والفرج أمانة يجب المحافظة عليه من الزنا والخنا ...وهكذا..

ج . الأمانة في الودائع:

ومن الأمانة حفظ الودائع وأداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما هي، مثلما فعل الرسول . ﷺ ـ مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول . ﷺ. ليحفظها لهم؛ فقد عُرِفَ الرسول . ﷺ. بصدقه وأمانته بين أهل مكة، فكانوا يلقبونه قبل البعثة بالصادق الأمين، وحينما هاجر الرسول . ﷺ ـ من مكة إلى المدينة، ترك علي بن أبي طالب ﷺ ليعطي المشركين الودائع والأمانات التي تركوها عنده.الأمانة في العمل:ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على خير وجه، فالعامل يتقن عمله ويؤديه بإجادة وأمانة، والطالب يؤدي ما عليه من واجبات، ويجتهد في تحصيل علومه ودراسته، ويخفف عن والديه الأعباء، وهكذا يؤدي كل امرئٍ واجبه بجد واجتهاد.

د . الأمانة في الكلام:

ومن الأمانة أن يلتزم المسلم بالكلمة الجادة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها؛ فالكلمة قد تُدخل صاحبها الجنة وتجعله من أهل التقوى، كما قال الله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء} إبراهيم:**24**.

وقد ينطق الإنسان بكلمة الكفر فيصير من أهل النار، وضرب الله – سبحانه– مثلا لهذه الكلمة بالشجرة الخبيثة، فقال:{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ}إبراهيم:26.

وقد بين الرسول . ﷺ ـ أهمية الكلمة وأثرها، فقال: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه".([1])

والمسلم يتخير الكلام الطيب ويتقرب به إلى الله –سبحانه–، قال النبي . ﷺ:"والكلمة الطيبة صدقة".([2])

هـ المسئولية أمانة:

كل إنسان مسئول عن شيء يعتبر أمانة في عنقه، سواء أكان حاكمًا أم والدًا أم ابنًا، وسواء أكان رجلا أم امرأة فهو راعٍ ومسئول عن رعيته، قال . ﷺ: " ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها (زوجها) وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".([3])

م . الأمانة في حفظ الأسرار:

---

[1]) صحيح الجامع برقم(1619)

[2]) مسلم.

[3]) متفق عليه.

obeikandi.com

فالمسلم يحفظ سر أخيه ولا يخونه ولا يفشي أسراره، وقد قال النبي ﷺ:"إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة ".([1])

ن . الأمانة في البيع:

المسلم لا يغش أحدًا، ولا يغدر به ولا يخونه، وقد مر النبي ﷺ . على رجل يبيع طعامًا فأدخل يده في كومة الطعام، فوجده مبلولا، فقال له:"ما هذا يا صاحب الطعام؟). فقال الرجل: أصابته السماء (المطر) يا رسول الله، فقال النبي ﷺ .:"أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غش فليس مني".([2])

وقد أمر الإسلام بحفظ الأمانة وأدائها، وذم الخيانة، وحذر منها كما قال تعالى{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}**النساء:58**.

قال ابن كثير رحمه الله أنها عامة في جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، وهي نوعان: حقوق الله تعالى من صلاة وصيام وغيرهما وحقوق العباد كالودائع وغيرها.([3])

عندما يلتزم الناس بالأمانة يتحقق لهم الخير، ويعمهم الحب، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بحفظهم للأمانة، فقال تعالى:{ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**المعارج:32**.. وفي الآخرة يفوز الأمناء برضا ربهم، وبجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

ولحفظ الأمانة العديد من الفضائل منها:

1. من صفات المؤمنين:

{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**المؤمنون:8**.

---

[1]) **سبق تخريجه.**

[2]) **مسلم.**

[3]) **تفسير ابن كثير(1/ 488)**

وجعل الرسول . ﷺ ـ الأمانة دليلا على إيمان المرء وحسن خلقه، فقال . ﷺ:"لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له".([1])

2. سببا في دخول الجنة:

قال رسول الله . ﷺ ـ:"اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا عاهدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا إبصاركم، وكفوا أيديكم".([2])

2. كفارة للذنوب:

قال رسول الله . ﷺ.:"الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة وأداء الأمانة كفارة لما بينها".([3])

2. دليل على طيب النفس:

قال رسول . ﷺ.: "الخازن الأمين الذي ينفذ وربما قال: يعطي ما أمر به كاملاً موفراً طيباً به نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر له به، أحد المتصدقين".([4])

فتح النبي . ﷺ ـ مكة، ودخل المسجد الحرام فطاف حول الكعبة، وبعد أن انتهى من طوافه دعا عثمان بن طلحة –حامل مفتاح الكعبة– فأخذ منه المفتاح، وتم فتح الكعبة، فدخلها النبي . ﷺ ـ ، ثم قام على باب الكعبة فقال:"لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده...".ثم جلس في المسجد فقام على بن أبي طالب وقال: يا رسول الله، اجعل لنا الحجابة مع السقاية. فقال النبي . ﷺ ـ:"أين عثمان بن طلحة؟"

---

[1]) **صحيح الجامع(1779)**

[2]) **صحيح الجامع برقم(1018)**

[3]) **ابن ماجة.**

[4]) **البخاري.**

obeikandi.com

فجاءوا به، فقال له النبي . ﷺ .:"هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم برٍّ ووفاء".([1])

ونزل في هذا قول الله تعالى:{إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها}النساء: 58. وهكذا رفض النبي . ﷺ . إعطاء المفتاح لعلي ليقوم بخدمة الحجيج وسقايتهم، وأعطاه عثمان بن طلحة امتثالا لأمر الله برد الأمانات إلى أهلها.

3. الأمانة من أخلاق الأنبياء:

الأمانة من أخلاق الأنبياء أجمعين لا يشذ عنها احد منهم مطلقا.قال تعالى على لسان كل من الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام:{ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}.

ولكن هناك ثلاثة أنبياء اقترنت الأمانة معهم بالتمكين في الأرض ورفعة الشأن والنصرة بعد مظنة الغلبة.

وهم يوسف عليه السلام قال تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ{54}قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }يوسف:54,55.

موسى عليه السلام قال تعالى على لسان ابنة شعيب في حق موسى عليه السلام:{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }القصص:26.

سيدنا محمد . ﷺ . قال تعالى:{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}التكوير:19ألى21.

* يوسف عليه السلام:

[1]) السيرة النبوية لابن هشام.

obeikandl.com

وقصة يوسف عليه السلام مع زوجة عزيز مصر معروفة وكيف أنها مكرت به بعد أن عرضت نفسها عليه مرات ومرات فكان يأبى خوفا من الله وحفظا لأمانة الرجل الذي رباه، وهو شاب في عنفوان الشباب وهى امرأة فائقة الجمال تتزين له وتغلق الأبواب عليه وعليها ولا أحد معهما وتعرض نفسها عليه والأجواء كلها مهيأة، فماذا فعل؟؟.رفض، وامتنع، ونيران الشهوة تتقد في عروقه حفظا للأمانة أمانة الله وأمانة الرجل الذي رباه .فما كانت النتيجة؟ يصير يوسف (الصديق)وزيرا لمصر{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}يوسف:21.

** موسى عليه السلام:

قد مكر به رجل من بني جلدته فأوقعه في ورطة كانت سببا بأن يخرج موسى من مصر هربا من القتل، فاستقر به الحال في بلاد مدين شمال شبهة الجزيرة العربية، حيث التقى (فتاتين) كانتا لا تسقيان حتى يذهب القوم فسقى لهما نبي الله موسى، و بعد أن سقى لهما. ذهبتا لوالدهما فتعجب من وفادتهما مبكرا على غير عادتهما، فأخبرتاه بما كان، فأمر إحداهن أن تذهب إليه، وتصطحبه عليه حتى يرد له جميل صنيعه. فلما أتت عليه إحداهن وافق موسى دون تردد، وسارت أمامه حتى تدله على الطريق، فهبت نفحة من ريح فكشفت عن ساقيها، فاستوقفها موسى وهنا تجلت أسمى معاني الأمانة فهي فتاه شابة وهو فتى شاب، في الصحراء لا يراهم أحد ولا يصطحبهم أحد فماذا فعل موسى:

قال لها أسير أمامك وعندما تريدين أن انحرف يمينا ألقى بحجر إلى اليمن، وإذا أردت أن انحرف يسارا ألقى بحجر إلى اليسار وهكذا.

فتعجبت الفتاه من أمانته وكرم أخلاقة لذا أرادته لنفسها، فقالت بكل حياء الأنثى لأبيها الشيخ الضرير الذي فهم ما تعنيه ابنته في الحال {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}القصص:26.

فقد خطبته الفتاه لنفسها وطلبت بمنتهى الفطنة والكياسة من أبيها أن يتصرف، وقد حددت الفتاه الأسباب (القوة، والأمانة) فلقد عرفت الفتاه أن مثل هذا الشخص لا يضيع عنده حق أحد ولن تذل عنده مهما حدث.

وهكذا مكن الله لموسى في الأرض، فبعد أن كان غريبا صار منهم وبعد أن كان شريدا صار له أهل، ومكث بينهم حتى عشر سنين حتى عاد بعد أن محصه الله وقوى عزمه كما قوى بدنه.

**<u>سيدنا محمد خاتم الأنبياء إمام المرسلين:</u>

حدث ولا حرج، فهو الصادق الأمين مما لا شك فيه ولا ريب وكانت أمانته في تجارة السيدة خديجة أيضا سببا لأن تخطبه لنفسها، فلقد علمت مروءته من أمانته، وأمانته وصدقة هما اللذان استهل بهما جهرة بالدعوة في أهل قريش.

والكلام عن أمانة الرسول المصطفي يطول، وإنما وجدت أن هناك قاسما مشتركا بين هؤلاء الأنبياء الثلاثة، أن الأمانة قد اقترنت معهم بالصدق والوفاء، ومع الصبر والحكمة أدى هذا المزيج إلى التمكين في الأرض من بعد الغلبة والقهر.{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}.التكوير.

*****

<u>المبحث السادس عشر: فضل الابتلاء:</u>

الحمد لله، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ. الذي ابتلي بأنواع من البلاء، فصبر، وشكر، وعلى آله وصحابته المبتلين الأخيار، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإنه لا يخفي على ذي بصر أنَّ الحياة الدنيا مليئة بالمصائب والبلاء، وأنَّ كل إنسان مهما كان فهو عرضة لكثيرٍ من الابتلاءات على مختلف ليمحصه ويرفع درجته على مختلف أنواعه: فمرة يُبتلى بنفسه، ومرة يبتلى بماله، ومرة يبتلى بحبيبه، وهكذا تُقلَّب عليه الأقدار من لدن حكيم عليم..

وقد جعل الله للابتلاء الكثير والكثير من الفضل:

1. يكشف حقيقة المؤمن:

قال تعالى:{كُل نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَنَبلُوكُم بِالشر وَالخَيرِ فِتنَةً وَإِلَينَا تُرجَعُونَ} **الأنبياء :35.**

وقال تعالى:{أَحَسِبَ الناسُ أَن يُترَكُوا أَن يَقُولُوا ءامَنا وَهُم لاَ يُفتَنُونَ (2) وَلَقَد فَتَنا الذِينَ مِن قَبلِهِم فَلَيَعلَمَن اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَن الكَاذِبِينَ}**العنكبوت:2-3.**

وفي الحديث الصحيح:"أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فلأمثل...".([1])

والأنبياء هم رأس الأيمان على مر العصور والأزمان وهم الأسوة والقدوة.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه ". وفي الحديث الصحيح: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له".([2])

وما أصدق الشاعر إذ يقول:

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت.....ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

---

[1]) **البخاري .**

[2]) **مسلم.**

وأجمل من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى:{فَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَيَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً}النساء:1.

وقوله تعالى:{وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لكُم وَعَسَى أَن تُحِبوا شَيئًا وَهُوَ شَر لكُم وَاللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ}البقرة:216.

2. يعلم الرضا والاستسلام:

إنَّ الله تعالى قسم بين الناس معايشهم وآجالهم، قال تعالى:{نَحنُ قَسَمنَا بَينَهُم معِيشَتَهُم في الحَياةِ الدنيَا}الزخرف:32.

فالرزق مقسوم، والمرض مقسوم، والعافية مقسومة، وكل شيء في هذه الحياة مقسوم. فارضَ بما قسم الله لك يا عبد الله، ولا تجزع للمرض، ولا تكره القدر، ولا تسب الدهر، فإن الدقائق والثواني والأنفاس كلها بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، فيُمرِض من يشاء، ويعافي من يشاء، ويبتلي من يشاء{أَلاَ لَهُ الخَلقُ وَالأمرُ}الأعراف:54. بلى سبحانه وتعالى.

وما دام الأمر كذلك فسلِّم أمرك لله أيها المبتلى، واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن من يريد أن تكون الحياة على حال واحدة، فكأنما يريد أن يكون قضاء الله تعالى وفق هواه وما يشتهيه. وهيهات هيهات.

يا صاحب الهمِّ إنَّ الهم منفرجٌ.....أبشِر بخيرٍ فإنَّ الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه.....لا تيأسنَّ فإنَّ الكافي الله
الله يُحدِث بعد العسر ميسرة.....لا تجزعنَّ فإن القاسم الله
إذا بُليت فثِقْ بالله وارضَ به...إنَّ الذي يكشف البلوى هو الله
واللهِ ما لكَ غير الله من أحدٍ.....فحسبُك الله في كلٍ لك الله

3. خير كله لمن رضي به:

لذا فاعلم يا عبد الله أنه إنَّما ابتلاك الذي أنعم عليك، وأخذ منك الذي أغدق عليك. وليس كل ما تكرهه نفسك فهو مكروه على الحقيقة، ولا كل ما تهواه نفسك فهو نافع محبوب، والله يعلم وأنت لا تعلم.

قال على ﷺ عنه: من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له به أجر ومن لم يرضي بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله.

كُن في أمورك مُعرضاً..... وكل الأمور إلى القَضَا

وأبشِر بخيرٍ عاجلٍ.....تنسى به ما قد مضى

فلـرُبَّ أمرٍ مسخطٍ.....لك في عواقبه الرضا

4. يرفع درجات العبد:

وإن لم يكن العبد لذلك أهلا فإن البلاء يرفع درجاته ويبوِّئه أعلى المنازل في الجنة بإذن الله. وقد جاء في الحديث أن الله عز وجل يقول لملائكته إذا قبضوا روح ولد عبده:"قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم.،فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول: "ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمُّوه بيت الحمد".([1])

ويقول سبحانه في الحديث القدسي: "ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صَفِيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة".([2])

بل ترفع درجات المؤمن حينما يُبتلى بما هو أقل من ذلك، ففي الحديث أن النبي . ﷺ ـ قال: "ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة".([3])

---

[1]) رواه أحمد وحسنه الألباني.

[2]) البخاري.

[3]) مسلم.

إذاً هي درجة تلو درجة ليبلغه الله منزلته في الجنة، والتي يكون تبليغه إياها بفضل الله، ثم بفضل صبره على البلاء، والله عز وجل يقول{إنمَا يُوَفي الصابِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَابٍ} الزمر:**10**.

عَطِيَّتُه إذا أعطى سرورٌ.....وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأيُّ النعمتين أعمُّ فضلاً.....وأحمد في عواقبها إيابا

أنِعمتُه التي أهدت سروراً.....أم الأخرى التي أهدت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلت بكرهٍ..... أحقُّ بشكرِ مَن صبر احتسابا

والله سبحانه وتعالى قد يكتب للعبد الدرجة والمنزلة فلا يبلغها بعمله فيبتليه ليرفع من درجته.

5. علامة حب ورأفة:

إن المصائب والبلاء امتحان للعبد، وهي علامة حب من الله له؛ إذ هي كالدواء، فإنَّه وإن كان مراً إلا أنَّك تقدمه على مرارته لمن تحب – ولله المثل الأعلى– ففي الحديث الصحيح: "إنَّ عظم الجزاء من عظم البلاء، وإنّ الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط".([1])

يقول ابن القيم رحمه الله: "إنّ ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به إلى تمام الأجر وعلو المنزلة ..." إلى آخر ما قال.

ولا شك أنَّ نزول البلاء خيرٌ للمؤمن من أن يُدَّخر له العقاب في الآخرة. وكيف لا وفيه تُرفع درجاته وتكفر سيئاته. يقول المصطفي . ﷺ .: "إذا أراد

---

[1]) **صحيح الجامع(2110)**

obeikandl.com

الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة".([1])

وبيَّن أهل العلم أن الذي يُمسَك عنه هو المنافق، فإن الله يُمسِك عنه في الدنيا ليوافيه بكامل ذنبه يوم القيامة – عياذاً بالله.

6. يكفر الذنوب:

مما لاشك فيه ولا مراء أن كل بني آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون ولذلك يبتلى الله العبد بالبلاء لكفر عنه الذنوب والأخطاء.

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدريﷺعنهما، عن النبي . ﷺ. قال:"ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه".([2]) والنَصَب: التعب. والوصب: المرض.

وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله . ﷺ .:"ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها".([3])

وعن عائشة ﷺ عنها قالت: قال رسول الله . ﷺ .: "ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها".([4])

وعن أبي هريرةﷺقال: لما نزل قوله تعالى: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}**النساء:123**.،

بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله . ﷺ .:"قاربوا وسددوا، ففي ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها".([1])

---

[1]) صحيح في صحيح وضعيف الجامع(308)

[2]) متفق عليه واللفظ للبخاري.

[3]) متفق عليه.

[4]) متفق عليه.

obeikandi.com

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله . ﷺ . دخل على أم السائب فقال:"مالك يا أم السائب تزفزفين؟ ، قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد".([2])

ومعنى تزفزفين: ترتعدين. و عن أم العلاء ﷺ عنها قالت: عادني رسول الله . ﷺ . وأنا مريضة فقال: "أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به الخطايا، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة".([3])

وعن أبي هريرةﷺقال: قال رسول الله . ﷺ .:"ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة".([4])

وعن سعد بن أبي وقاصﷺقال: قال رسول الله . ﷺ .:"ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة".([5])

وعن عائشة ﷺ عنها قالت: سمعت رسول الله . ﷺ . يقول:"ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة".([6])

وعن أبي سعيد أن رسول الله . ﷺ . قال: "صداع المؤمن، أو شوكه يشاكها، أو شيء يؤذيه، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة، ويكفر عنه ذنوبه".([7])

7. يكشف حقيقة الدنيا:

---

[1]) مسلم.

[2]) مسلم.

[3]) أبو داود وحسنه ألمنذري.

[4]) الترمذي وقال:حسن.

[5]) الترمذي وصححه الألباني.

[6]) مسلم.

[7]) صحيح الترغيب برقم(3434)

obeikandi.com

وزيفها وأنها متاع الغرور، وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا، في حياة لا مرض فيها ولا تعب:{وَإِنَّ الدارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ} **العنكبوت:64**.

أما هذه الدنيا فنكد وجهد وكبد:{ لَقَد خَلَقنَا الإِنسانَ في كَبَدٍ}**البلد:4**.

فهذا شأن الدنيا فبينما هي مُقبلة إذا بها مدبرة، وبينما هي ضاحكة إذا بها عابسة. فما أسرع العبوس من ابتسامتها، و ما أسرع القطع من وصلها، وما أسرع البلاء من نعمائها.

روى أن الفاروقﷺ : أنّه كان يكثر من حمد الله على البلاء، فلما سُئِل عن ذلك قال: "ما أُصبت ببلاءٍ إلا كان لله عليَّ فيه أربع نعم: أنه لم يكن في ديني، وأنه لم يكن أكبر منه، وأنّي لم أحرم الرضا والصبر، وأني أرجو ثواب الله تعالى عليه".

فاعمل لدارٍ غداً رضوانُ خازنها....الجارُ أحمدُ والرحمنُ بانيها

قصورها ذهبٌ والمسك تربتها.....والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها

8. يذكر بفضل نعمة الله عليك بالعافية.

فإنّ هذه المصيبة تشرح لك بأبلغ بيان وأصرح برهان معنى العافية التي كنت تمتعت بها سنين طويلة، ولم تتذوق حلاوتها ولم تقدرها حق قدرها. وصدق من قال : "الصحة تاجٌ على رءوس الأصحاء لا يراه إلا المرضي" . ومن غير المبتلى يعرف أنَّ الدنيا كلمة ليس لها معنى إلا العافية ؟ .

9. يذكرنا، فلا نفرح فرحاً يطغينا، ولا نأسى أسى يفنينا.

فإن الله عز وجل يقول:{ مَا أَصَابَ مِن مصِيبَةٍ في الأرضِ وَلاَ في أَنفُسِكُم إِلا في كِتابٍ من قَبلِ أَن نبرَأَهَا إِن ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (22) لكَيلاَ تَأسَوا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلاَ تَفرَحُوا بِمَا آتاكُم وَاللهُ لاَ يُحِب كُل مُختَالٍ فَخُورٍ}**الحديد:22، 23**.

10. يذكر الإنسان بعيوب نفسك لتتوب منها:

والله عز وجل يقول:{وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نفسِكَ}النساء:79..

ويقول سبحانه:{وَمَا أَصابَكُم من مصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أَيدِيكُم وَيَعفُوا عَن كَثِيرٍ} الشورى:30.

فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر، فإنَّ الله تعالى يقول:{ وَلَنُذِيقَنهُم منَ العَذَابِ الأدنَى دُونَ العَذَابِ الأكبَرِ لَعَلهُم يَرجِعُونَ}السجدة:21.

والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها.

11. درس تربوي عملي يربينا على الصبر.

وما أحوجنا إلى الصبر في كل شيء. فلن نستطيع الثبات على الحق إلاَّ بالصبر على طاعة الله، ولن نستطيع البعد عن الباطل إلاَّ بالصبر عن معصية الله، ولن نستطيع السير في مناحي الحياة إلاَّ بالصبر على أقدار الله المؤلمة. وما أجمل الصبر في ذلك كله، فهو زادنا إلى جنة الخلد والرضوان.

قال سبحانه وتعالى:{وَمَا يُلَقاهَا إلا الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقاهَا إلا ذُو حَظ عَظِيمٍ}فصلت:35.

أصيب عروة بن الزبير رحمه الله في قدمه؛ فقرر الأطباء قطعها، فقطعت. فما زاد على أن قال: "اللهم لك الحمد فإن أخذت فقد أبقيت، وإن ابتليت فقد عافيت". فلما كان من الغد ركلت بغلة ابنه محمداً، وهو أحب أبنائه إليه، وكان شاباً يافعاً، فمات من حينه، فجاءه الخبر بموته، فما زاد على أن قال مثل ما قال في الأولى، فلما سُئِل عن ذلك قال: "كان لي أربعة أطراف فأخذ الله مني طرفاً وأبقى لي ثلاثة، وكان لي سبعةٌ من الولد فأخذ الله واحداً وأبقى لي ستة. وعافاني فيما مضى من حياتي ثم ابتلاني اليوم بما ترون، أفلا أحمده على ذلك ؟!".

وقال تعالى:{وَلَنَبلُوَنكُم بِشَيء مِنَ الخَوف وَالجُوعِ وَنَقصٍ مِنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثمَراتِ وَبَشرِ الصابِرِينَ (155) الذِينَ إِذَا أَصَابَتهُم مصِيبَةٌ قَالُوا إِنا لِلهِ وَإِنا إِلَيهِ راجِعونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ من ربهِم وَرَحمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ}البقرة:155إلى157.

يقول بعض السلف: "إذا نزلت بك مصيبة فصبرت، كانت مصيبتك واحدة. وإن نزلت بك ولم تصبر، فقد أُصبت بمصيبتين: فقدان المحبوب، وفقدان الثواب". ومصداق ذلك من كتاب الله عز وجل قوله تعالى:{وَمِنَ الناسِ مَن يَعبُدُ اللهَ عَلَى حَرفٍ فَإِن أَصَابَهُ خَيرٌ اطمَأَن بِهِ وَإِن أَصَابَتهُ فِتنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجهِهِ خَسِرَ الدنيَا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبِينُ} الحج:11.

وختاماً: لا تنس أن تبحث في البلاء عن الأجر، ولا سبيل إليه إلا بالصبر، ولا سبيل إلى الصبر إلا بعزيمة إيمانية وإرادة قوية.

ولا تنس ذكر الله تعالى شكرا على العطاء، وصبراً على البلاء، وليكن ذلك إخلاصاً وخفية بينك وبين ربك.

ولا تنس أنّ الله تعالى يراك، ويعلم ما بك، وأنه أرحم بك من نفسك ومن الناس أجمعين، فلا تشكون إلا إليه!. واعلم بأنّك:

إذا شكوت إلى ابن آدم فكأنَّما **تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحم

ولا تنس إذا أُصبت بأمر عارض، أن تحمد الله أنك لم تُصَب بعرض أشد منه، وأنَّه وإن ابتلاك فقد عافاك، وإن أخذ منك فقد أعطاك.

ولا تنس أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنّ عظم الجزاء من عظم البلاء، وأنّ لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فاصبر واحتسب، ودع الجزع فإنه لن يفيدك شيئاً، وإنما سيضاعف مصيبتك، ويفوِّت عليك الأجر، ويعرضك للإثم.

ولا تنس أنَّه مهما بلغ مصابك، فلن يبلغ مصاب الأمة جمعاء بفقد حبيبها ﷺ. ، فتعزَّ بذلك، فقد قال:"إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنَّها من أعظم المصائب"([1])

ولا تنس إذا أصابتك أي مصيبة أن تقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها. فإنك إن قلت ذلك؛ أجارك الله في مصيبتك، وخلفها عليك بخير.

ولا تنس أن لا يأس من روح الله مهما بلغ بك البلاء، فإنَّ الله سبحانه يقول:{فَإِن مَعَ العُسرِ يُسراً (5) إِن مَعَ العُسرِ يُسراً}الشرح: 5، 6. ولن يغلب عسر يسرين، كما قال عمر الفاروق رضي الله عنه. ثم حذارِ أن تنسى فضل الله عليك إذا عادت إليك العافية، فتكون ممن قال الله عنه:{وَإِذَا مَس الإِنسانَ ضُر دَعَا رَبهُ مُنِيباً إِلَيهِ ثُم إِذَا خَولَهُ نِعمَةً منهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدعُو إِلَيهِ مِن قَبلُ}الزمر: 8.

ثم لا تنس أن البلاء يذكرك بساعة آتية لا مفر منها، وأجل قريب لا ريب فيه، وأنّ الحياة الدنيا ليست دار مقر. فاعمل لأخرتك؛ لتجد الحياة التي لا منغص لها.

---

[1]) صحيح الجامع(347)

obeikandl.com